جامعة بيروت العربية



المؤرخ جريجوري التوري وتاريخه للملك كلوفس

من خلال كتاب تاريخ الفرنجة

دكتور
محمود سعيد عمران
مدرس تاريخ العصور الوسطى
بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية

١٩٨٠

جامعة بيروت العربية

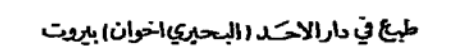
المؤرخ جريجوري التوري وتاريخه للملك كلوفس

من خلال كتاب تاريخ الفرنجة

دكتور
محمود سعيد عمران
مدرس تاريخ العصور الوسطى
بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية

١٩٨٠




طبع في دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت

المؤرخ جريجوري التوري وتاريخه للملك كلوفس

من خلال كتاب تاريخ الفرنجة

من الأحداث الهامة في تاريخ الغزوات الجرمانية قيام دولة الفرنجة، لأنها الدولة الوحيدة التي استطاعت البقاء في أوروبا على حساب الامبراطورية. كما أن دولة الفرنجة التي اتخذت غالة موطناً لها قد نجحت في مزج الحضارة الرومانية بعادات الفرنجة وتقاليدهم. وكان ذلك مرجعه إلى اعتناق الفرنجة للمسيحية على المذهب الكاثوليكي، وهو المذهب الذي إعتنقه البابوات في روما، على العكس من العناصر الأخرى التي دانت بالمذهب الاريوسي[1].

وتعددت الروايات حول ظهور الفرنجة، فقد رأى البعض أن ظهور الفرنجة كان بظهور زعمائهم الأوائل، وهم جينوبود Genoboud، وماركومر Marcomer، وسونو Sunno الذين هاجموا مدينة كلوني Cologne وهزموا

---

١ – ينسب المذهب الأريوسي الى آريوس Arius وكان أحد رجال الدين بمدينة الاسكندرية. وكانت آراء آريوس التي ظهرت حوالي ٣١٨م تدور حول الثالوث المقدس وهو الأب والابن والروح القدس، فهو يرى أن الأب وهو الله موجود قبل الابن وهو السيد المسيح، وعلى ذلك لا يمكن أن يتعادل الأب والابن في المستوى والمقدرة وهو ما نادى به أثناسيوس Athanasius أحد رجال الدين بالاسكندرية أيضاً. عن ذلك ولمزيد من التفاصيل أنظر:
Lot, F., The End of Ancient World, London 1931, p. 43, Painter, S.,A History of The Middle Ages, New York, 1954, p. 16.

على يد قوات الامبراطورية[١]. ولكنه يمكن القول أن كلوديو Clodio قد وضع اللبنة الأولى لدولة الفرنجة عندما انتصر على قوات الامبراطورية واستولى على كامبريا Cambria ثم على البلاد الواقعة على نهر السوم Somme. ومن كلوديو جاءت السلالة التي حكمت دولة الفرنجة لزمن طويل، فقد خلفه مروفتش Merovech (ت ٤٥٦ م) ثم تشيلدريك Childeric (٤٥٨ – ٤٨١ م)[٢].

وكان تشيلدريك من رؤساء الفرنجة الساليين وأعان قوات الامبراطورية على صد غارات السكسون والقوط الغربيين وأدرك بوضوح ميزة الاحتفاظ بشمال غالة مفتوحاً أمام زحفه. وفي أثناء ذلك كان الفرنجة البريون ينتشرون على يمين الراين ويساره من مراكزهم في كلونى ومايانز Mayence[٣].

وعندما توفي تشيلدريك خلفه على عرش الفرنجة ابنه كلوفس Clovis (٤٨٢ – ٥١١ م) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة نظراً للدور الكبير الذي لعبه في السياسة الداخلية والخارجيه في غالة وأثر ذلك كله على أوروبا العصور الوسطى[٤].

انقسمت دولة الفرنجة بين أولاد كلوفس الأربعة بعد وفاته طبقاً للعادات الجرمانية، ولا شك أن ذلك كان له أثره في إضعاف دولة الفرنجة. وقد ظلت دولة الفرنجة رغم هذا التقسيم وحدة واحدة لها عواصم أربعة هي ريمز Rheims وأورليان Orleans وباريس Paris وسواسون Soissons. وفي عام ٥٥٨م عادت الوحدة مرة أخرى لدولة الفرنجة عندما

---

١ – سجل هذه المعلومة مؤرخ يدعى الكسندر Alexander وكتابه مفقود ونقل عنه المؤرخ جريجوري التوري انظر:
Gregory of Tours, History of Franks, tr. Lewis Thorpe, Penguin Books, 1974, p. 120.
وهذا الكتاب الذي رجعنا اليه في هذا البحث ويشير الباحث اليه بالحروف G. T., H. F.

(٢) G. T., H. F., p. 125

(٣) Moss, The Birth of The Middle Ages, Oxford, 1963, p. 63.

(٤) Stephenson, C., Mediaeval History, New York, 1951, p. 53

توفى أولاد كلوفس عدا لوثير الاول Lothar I (ت ٥٦١م). ثم ما لبثت أن عادت دولة الفرنجة في التفكك مرة اخرى بعد وفـاة لوثير بين أولاده الأربعة، فقد حكم تشاربيرت Charibert (ت ٥٧٦ م) في باريس، وحـــكم سيجبيرت Sigibert (ت ٥٧٥ م) في ريمز، وتشلبريك Chilperic في سواسون وجونترام Guntram (ت ٥٩٣م) في أورليان[١].

وحوالي ذلـك الوقت يبرز لنا مؤرخ لتاريخ الفرنجة، هـــو المؤرخ جريجوري أف تور Gregory of Tours ، ليقدم لنا مؤلفاً عظيماً عن تاريخ دولة الفرنجة يعد المصدر الأول عن الفرنجة في هذه الحقبة، وبدونه كان من الجائز ان ينطمس جانب كبير من تاريخ هذه الدولة التي غيرت وجه التاريخ في مطلع تاريخ أوروبا الوسيط . وفي هذا البحث يقوم الباحث بالقاء الضوء على المؤرخ جريجوري التوري مع تحليل لكتابه تاريـــخ الفرنجه، وتأريخه للملك كلوفس من خلال هذا الكتاب .

ولد جريجوري فلورنتيوس Gregory Florentius المعروف بجريجوري أف تور أو جريجوري التوري في الثلاثين من نوفمبر عام ٥٣٩ م . وكان مولده في مدينـــة كليرمونت – فراند Clermont Ferrand التي تعرف في عصره باسم أرفرنوس Arvernus عاصمـــة مقاطعة أرفرنيا Arvernia . وينحدر جريجوري من أسرة عريقة كان لها سمعتها كإحدى الامر الحاكمة التي شاركت في خدمة الكنيسة . فقد كان والده نبيلاً وجده كذلك أما والدته أرمنتاريا Armentaria فهي حفيـــدة القديس جريجوري أسقف لانجر Langer ٥٠٧ – ٥٣٩ م ، والاخت الكبرى للقديس تتريكوس Tetricus الذي خلف الجـد في أسقفية لانجر ٥٣٩ – ٥٧٢ م[٢]. كما أن أخاه بطرس Peter كان يعمـل شماساً في كنيسة لانجر[٣]. والواقع أن المتتبع لأفراد عائلة جريجوري يجد العديد من رجال الدين والدنيا البارزين الذين لعبوا دوراً رئيسياً في المجال الروحي والدنيوي .

(١) G. T., H. F., p. 217. (٢) G. T., H. F., p. 212. (٣) G. T., H.F., pp. 259-260.

لم ينعم جريجوري بقضاء فترة صباه مع والده ، فقد مات الأب عندما كان جريجوري صبياً ، فاضطرت والدته للذهاب إلى برجانديا Burgundy لتتولى شئون ممتلكاتها هناك[١]. وهكذا حرم جريجوري من مسقط رأسه ووالده في آن واحد . ولكن ذلك لم يستمر طويلاً ، فعندما بلغ الثامنة من عمره عاد مرة اخرى إلى كليرمونت – فراند ليعيش مع عمه القديس جالوس Gallus أسقف المدينة ٥٢٥ – ٥٥١ م . ولكن رعاية العم للطفل لم تدم طويلاً فقد مات العم وجريجوري لا يزال في الثانية عشر من عمره . ويبدو أن الحياة الدينية قد استهوت الصبي فاستمرت إقامته مع رئيس دير المدينة افيتوس Avitus الذي أصبح أسقفاً للمدينة في عام ٥٧٢ م خلفاً للأسقف كوتينوس Cautinus ، الذي وصفه جريجوري بكرم الضيافة وحسن المعاشرة[٢] .

ومن كليرمونت قام جريجوري بعدة زيارات لعل اهمها زيارته إلى عم والدته القديس نيستيوس Nicetius أسقف مدينة ليون Lyon ٥٥١ – ٥٧٣م ، الذي وصفه جريجوري بدماثة الخلق ، كما تحدث عن زيارته لابن عمه القديس يوفرونيوس Eufronius أسقف مدينة تور[٣]. والواضح أن الإقامة قد طابت لجريجوري في هذه المدينة ولا شك أنها كانت عزيزة عليه ، فقد كان من بين الثمانية عشر أسقفاً الذين تولوا رئاسة الأسقفية خمسة من أقاربه . فانخرط جريجوري في السلك الكنسي ودخل في خدمة الكنيسة.

وفي عام ٥٦٣ م أي عندما بلغ جريجوري الرابعة والعشرين من عمره منح لقب شماس في كنيسة تور ، ولما توفي يوفرونيوس في عام ٥٧٣ م ، وكان جريجوري قد أصبح معروفاً في المدينة ، بالإضافة إلى خدمة عائلته للكنيسة ، فلا غرابة أن يتم انتخابه ليكون أسقفاً للمدينة ، ووافق الملك الفرنجي سيجيبرت Sigibert ٥٦١ – ٥٧٥ م ، على هذا الانتخاب[٤] ،

---

(١) G. T., H. F., p. 8.
(٢) G. T., H. F., pp. 229-230.
(٣) G. T., H. F., pp. 230-231.
(٤) G. T., H. F., p. 9.

وبذلك أصبح جريجوري الأسقف التاسع عشر لمدينة تور ، وظل في هذا المنصب حتى وفاته في السابع عشر من نوفمبر ٥٩٤ م ، بعد أن خـــدم واحداً وعشرين عاماً ، ومات عن خمس وخمسين عاماً .

وكان منصب الاسقف الذي تولاه جريجوري من المناصب الهـامة في غالة الميروفنجية بصفة خاصة، ولعل ذلك مرجعه أن غالة كانت من أولى الدول التي اعتنقت المذهب الكاثوليكي الذي يدين به البابا في روما ، في الوقت الذي كانت أوروبا العصور الوسطى على غير ذلك . ومن هنا كانت مساندة البابا لدولة الفرنجة ومساندة الفرنجة للبابا . والحقيقة أن منصب الاسقف كان له مسؤوليات ضخمة وكان هؤلاء الاساقفة يستمرون في مناصبهم حتى وفاتهم ، ويتمتعون باحترام الجميع وتقديرهم ولهم من السلطة والحصانة ما يكفي لحمايتهم . وإذا كانت هـذه هي القاعدة فقد كان هناك بعض الاستثناءات . فقد اغتيل اسقف روان Rouen في كاتدرائيته عام ٥٨٦م[١] ، كما تم نفي أسقف ريمز خارج البلاد لإتهامه بمحاولة قتل الملك تشيلدبرت الثاني Childebert (ت ٥٦٧ م)[٢]. وليس لنا أن نتتبع حياة الاساقفة في هذه المرحلة ونكتفي بهذه الامثلة . غير انه يمكن القول أن الاساقفة كانوا يمثلون القيم الروحية للمذهب الكاثوليكي وكانوا سفراء لمدنهم في المؤتمرات الدينية والسياسية التي كان يمثلها العديد من اليهود ومن الجماعات الأريوسية[٣].

ومع بداية تولي جريجوري أسقفية تور أدرك حاجته الملحة إلى المنطق الواضح لمناقشة هذه العناصر ، هذا بالاضافة إلى القدرة على الجدل بالحجج والبراهين . وتبدو هـذه الظاهرة واضحة في كتابات جريجوري ، فقد تناول قصة أحد الدجالين الذين ظهروا في ضواحي مدينة آرل Arles[٤]،

(١) G. T., H. F., p. 463.

(٢) أفاض جريجوري في الحديث عن هذه المؤامرة انظر : G. T., H. F., p. 376-7.

(٣) عن بعض جوانب هذه المؤتمرات انظر على سبيل المثال : G. T., H. F., pp. 310 - 311

(٤) G. T., H. F., pp. 584 - 6.

كما تناول أيضاً جداله مع أحـــد العناصر الأريوسية حول الروح القدس The Holy Ghost [١]، هذا فضلاً عن مناظرة جريجوري لأحد رجال الدين اليهودي يدعى بريسكوس Priscus، وبعض الذين ينكرون قيامة السيد المسيح[٢]. ولقد أفاض جريجوري في ذكر هذه الاحداث والقى عليها أضواء كثيرة مما يشير إلى قدرته على المناقشة وايمانه بالمذهب الكاثوليكي. فلقد كان جريجوري مثلاً طيباً للاساقفة المدافعين عن المثـــل والفضيلة بما لهم من تأثير روحي على الشعب.

ويرى جريجوري أن مهمة الأساقفة لا تقتصر على القول دون العمل فالأساقفة مسؤولون عن الكنائس والأديرة التي تقع في نطاق أسقفياتهم وعليهم القيام ببناء المزيد من الكنائس والأديرة وزيارتها من وقت إلى آخر لتتبع أحوالها، فضلاً عن الإشراف على الممتلكات التي تتبعها من أراض زراعية وغير ذلك. ويقدم لنا جريجوري أمثلة على ذلك فقد ذكر أن إثريوس Aetherius أسقف ليزيو Lisieux كان يذهب الى الحقول ويحمل فأسه ويشارك الفلاحين أعمالهم[٣]. ولعل في ذكر هـــذه الامثلة ما يجعل إثريوس مثلاً يحتذى في غالة الميروفنجيه التي ضمت إحدى عشر كاتدرائية في عصر جريجوري.

وبحكم موقع جريجوري بوصفه أسقفاً لمدينة تور كان يشرف على ثماني أسقفيات منها أسقفية ماينز Mans ورين Rennes وأنجرز Angers ونانت Nantes. وواقع الأمر أن جريجوري عندما تولى منصبه في مدينة تور كانت كاتدرائيتها وهي كنيسة القديس مارتن Martin (ت ٣٩٧ م)[٤] قد أصابها حريق في عهد سلفه، فتولى جريجوري إعادة بنائها وقد تم ذلك في عام ٥٨٠ م. وقد أصبحت أكثر ارتفاعاً عما كانت عليه من قبل[٥].

(١) G. T., H. F., pp. 307 - 10.
(٢) G. T., H. F., pp. 329 - 33, 560 - 6.
(٣) G. T., H. F., p. 368.
(٤) G. T., H. F., p. 96.
(٥) G. T., H. F., p. 601.

وألحق بها منزل خاص له ، وفي هذا المنزل كان يتقابل مع زائريه الذين يفدون إلى المدينـة ، ومن هؤلاء الزائرين سيمون Simeon اسقف أرمينيا بعد نفيه من بلاده . وسيمون هـذا هو الذي ذكر للاسقف جريجوري أحداث سقوط انطاكية التي وقعت في عام ٥٧٣ م وهي التي سجلها جريجوري في كتابه [١] .

وكانت علاقة جريجوري بالحكام علاقة طيبة للغاية ففي الفترة التي تولى فيها أسقفية مدينة تور والتي استمرت مـا يقرب من اثنين وعشرين عاماً كانت مدينة تور خاضعة للملك سيجيبرت Sigibert (ت ٥٧٥م) ثم تشيلبريك Chilperic (ت ٥٨٤م) ومن بعده تشيلدبرت الثاني Childbert II (ت ٥٩٥ م) . وكان جريجوري موضع ثقة هؤلاء جميعاً ، وقـد زار جريجوري الملك تشلبريك في قصره الذي كان مقاماً في نوجنت Nogent على شاطئ نهر مارن Marne شرق باريس في عام ٥٨١ م وشاهد بنفسه الهدايا الذهبية والفضية التي أرسلها الامبراطور البيزنطي طيبريوس الثاني Tiberius II ٥٧٨ – ٥٨٢ م [٢]، كما ذهب مبعوثاً من قبل الملك تشيلدبرت الثاني إلى الملك الفرنجي جونترام Guntram (ت ٥٩٣) ، وذلك في عام ٥٨٧ م ، واتجـه إلى مدينة شالون Chalon لإزالة الشكوك التي انتابت نفس الملك جونترام حول معاهدة أندلوت Andelot الموقعـة في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ٥٨٧م [٣] ، كما أن جريجوري زار البابا جريجوري الأول (٥٩٠ – ٦٠٤ م) .

وبالرغم من الرابطة القوية التي كانت تجمع جريجوري بملوك الفرنجـة ،

---

(١) G. T., H. F., pp. 582 - 3.

للمزيد من التفاصيل عن سقوط انطاكية في يـد الفرس في عصر جستين الثاني Justin II (٥٦٥ - ٥٧٨ م) انظر

Procopius, History of War, tr. H. B. Dewing, Harvard, 1971, 11, VI, 15 - 16.

(٢) G. T., H. F., p. 328.

(٣) G. T., H. F., p. 494.

وعن النص الكامل للمعاهدة راجع صفحات ٣٠٣–٣٠٥ للمصدر نفسه.

فإنه كان يعارض بعض أعمالهم وخاصة أعمال الاعتقال التي سادت دويلات الفرنجة في هذه المرحلة ، كما دافع عن رجال الدين الذين اتهمـــوا بالعمل ضد الملوك، وعلى سبيل المثال عندما دافـــع عن الاسقف بريتكستاتوس Praetextatus أسقف روان Rouen في اجتماع باريس عندما اتهم بالعمل ضد رغبات الملك تشيلبريك[١]. كما أن جريجوري قاوم بكل شدة رغبات الملك تشيلدبرت الثاني في محاولاته لفرض ضرائب جديـدة على سكان مدينة تور ولم يتوقف جريجوري عن المعارضة حتى توقف محصلو الضرائب عن جمع الضرائب الجديدة[٢].

وقد كتب جريجوري أربع مؤلفات ، الأول وهو كتاب تاريخ الفرنجة The History of Franks ، والثاني يتعلق بالمعجزات Miracles ، والثالث عن آباء الكنيسة The Fathers والرابع تفسيرات على سفر المزامير في العهد القديم Commentaries on the Psalms[٣].

ولعل أكثر هذه الكتب أهمية للمؤرخ هو كتاب تاريخ الفرنجة موضوع الدراسة . والكتاب نشر باللغة الانجليزية في لندن عام ١٩٧٤ وهي النسخة التي رجع إليها الباحث . وهذا الكتاب مكون من عشر فصول خصص المؤرخ تسعة منها لتسجيل أحداث دولة الفرنجة حتى عام ٥٩١ م . والمؤرخ يسجل الاحداث بالسنوات ويؤرخ لها بسني حكم الأباطرة وملوك الفرنجه الذين يؤرخ لهم شأنه في ذلك شأن معظم معاصريه من المؤرخين .

والفصل الأول من كتاب تاريخ الفرنجة يتكون من ثمانيـــة وأربعين موضوعاً ويبدأ مع بداية الخلق منـــذ آدم عليه السلام وينتهي بأحداث وفاة القديس مارتن في عام ٣٩٦ م ، وهي السنة الثانية من حكم الامبراطور أركاديوس Arcadius (٣٩٥ — ٤٠٨ م) في القسطنطينية ، وحكم هونوريوس

(١) G. T., H. F., pp. 275-283.
(٢) G. T., H. F., pp. 315-7.
(٣) G. T., H. F., p. 602-3.

Honorius (٣٩٥ – ٤٢٣ م) في روما بعد وفاة والدهــــا الامبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩ – ٣٩٥ م) . كما أشار المؤلف[١].

ويغلب على هذا الفصل الطابع الديني ، ولكن المؤرخ قدم لنا مادة تاريخية طيبة عن الامبراطور فالـــنز Valens (٣٦٤ – ٣٧٨ م) ومعركة أدرنه Adrianpole (٣٧٨ م) التي قتل فيها الامبراطور على أيدي القوط، كما قدم لنا مادة تاريخية عن الامبراطور ثيودوسيوس الأول وعن دخوله القسطنطينية منتصراً وكيف أنه قبض على خصمه مكسيموس Maximus[٢]. وتناول المؤرخ حركة التجارة من الهند إلى مصر عن طريق مدينة القلزم[٣].

والفصل الثاني يتكون من ثلاثة وأربعين موضوعاً ، ويبدأ بالأحداث التي تلت وفاة القديس مارتن حتى موت الملك الفرنجي كلوفس . ويغلب على هذا الفصل أيضاً الطابع الديني . ورغم ذلك فقد أورد به المؤرخ مادة تاريخية عن الوندال Vandals وبداية نزوحهم إلى غالة واضطهادهم للمسيحيين الذين يدينون بالمذهب الكاثوليكي ، كما تحـدث عن تحركاتهم وعبورهم إلى الشمال الإفريقي ونهاية دولتهم[٤]. كما تناول جانباً من الحرب التي دارت بين السكسون Saxons والفرنجة ، وكيف انتصر الملك الفرنجي تشيلدريك عليهم[٥]. وتناول المؤرخ أيضاً استعداد الهون Huns لغزو غالة (٤٥١م)، وقدومهم إلى بانونيا Pannonia ، وحرق مدينة متز Metz ، ثم غزوهم لمدينة أورليان تحت قيادة زعيمهم أتيلا Attila (ت ٤٥٤ م) وانسحابهم[٦]. وفضلا عن ذلك قدم لنا المـؤرخ اجتياح الهون لاقليم أكويليا Aquileia الذي يقع على الطريق الشمالي للبحر الادرياتيكي وتقدمهم الى ايطاليا[٧].

وأهم ما أورد المؤرخ في هــذا الفصل الاحداث المتعلقة بعصر الملــك كلوفس، فقد تناول المؤرخ عصر كلوفس في موضوعات متعددة في مــادة

---

(١) G. T., H. F., p. 97.
(٢) G. T., H. F., p. 92.
(٣) G. T., H. F., p. 75.
(٤) G. T., H. F., pp. 106-8.
(٥) G. T., H. F., p. 132.
(٦) G. T., H. F., pp. 114-6
(٧) G. T., H. F., p. 118.

تاريخية وفيرة . ويقدم الباحث في نهاية هذا البحث مبحثاً خاصاً عن المادة التاريخية التي قدمها المؤرخ عن عصر الملك كلوفس[1].

وفيما يتعلق بالفصل الثالث فقد قدم لنا المؤرخ في هذا الفصل سبعة وثلاثين موضوعاً. ويبدأ هذا الفصل بتقسيم دولة الفرنجة بعد وفاة كلوفس في عام ٥١١م بين أولاده الأربعة ثيودريك Theuderic (ت ٥٣٤م)، تشلودومر Chlodomer (ت ٥٢٤م)، تشيلدبرت (ت ٥٥٨م)، ولوثير الاول (ت ٥٦١م)[2]. وينتهي هذا الفصل بالاحداث المتعلقة بموت - حفيد كلوفس - الملك الفرنجي ثيودبرت Theudebert (ت ٥٤٨)م ابن الملك ثيودريك[3].

وفي هذا الفصل يبدأ الجانب الديني يخف تدريجياً في كتابات المؤرخ الذي يقدم جوانب تاريخية وفيرة تتعلق بملوك دولة الفرنجة . ومن معالم هذ الفصل ما أورده المؤرخ عن القوط Goths . فقد تحدث عن القوط الغربيون Visigoths في أسبانيا وبصفة خاصة عن عصر الملك تيودا Theuda (٥٣١-٥٤٨م). كما تحدث عن القوط الشرقيين Ostrogoths وتناول الحديث عن الملك ثيودريك (٤٩٣ - ٥٢٦م)، ووفاته والأحداث التي وقعت في إيطاليا بعد وفاته[4].

وفي الفصل الرابع تناول المؤرخ واحداً وخمسين موضوعاً . ويبدأ هذا الفصل بوفاة الملكة كلوتيلد Clotild - زوجة الملك كلوفس في مدينة تور (عام ٥٤٤م) ونقل جثمانها إلى مدينة باريس[5] . وينتهي بأحداث موت الملك الفرنجي سيجبرت عام ٥٧٥ م[6]. ومن الموضوعات البارزة في هذا الفصل الحرب التي دارت في عام ٥٥٤ م، بين قوات الامبراطور البيزنطي جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ - ٥٦٥ م) والقوط الغربيين في أسبانيا وإنتصار قوات جستنيان على الملك القوطي أجيلا Agila (٥٤٩ - ٥٥٤ م)[7].

---

(١) انظر ما يلي ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) G. T., F., H. p. 162. (٣) G. T., F. H., p.193. (٤) G. T., H. F., pp. 187-9

(٥) G. T., H. F., p. 197. (٦) G. T., H. F., pp. 247-9. (٧) G. T., H. F., p. 202.

كما تناول المؤرخ في هذا الفصل ثورة العناصر السكسونية وخروج الملك لوثير الاول لمحاربتهم واجتياحه ثورنجيا Thuringia ومساندة الثورنجيين للسكسون ، والمعركة التي دارت بين الفرنجه والسكسون في عام ٥٥٥ م وسقوط العديد من القتلى من كلا الجانبين وما تلى ذلك من عقد الهدنة بين الطرفين وعودة لوثير إلى وطنه [١] .

وتحدث جريجوري أيضاً عن عودة الهون لغزو غالة في عام ٥٦٦ م ، وتصدى الملك سيجبرت لهذا الغزو ولكنه لم يوفق رغم دهائه ومكره فوقع في الأسر بعد ما حاصره الهون . وما تلا ذلك من أحداث انتهت باطلاق سراح سيجبرت بعد ما قدم عدداً كبيراً من الهدايا لخان الهون [٢].

وسجل المؤرخ في هذا الفصل أيضاً نزوح اللمبارد Longobards إلى إيطاليا تحت قيادة ملكهم البوين Alboin (٥٧٣ - ٥٧٦ م) وهي الأحداث التي وقعت في عام ٥٨٦ م ، كما تحدث عن وفاته وقيام اللمبارد بتعيين خلف له هو الملك كلفو Chelph (ت ٥٧٤ م) [٣]. وعن اللمبارد أيضاً تحدث المؤرخ عن دخولهم إلى غالة تحت قيادة آمو Amo وزابان Zaban وروردان Rodan في عام ٥٧٤ م [٤].

والفصل الخامس يحتوي على خمسين موضوعاً ، ويبدأ بحكم الملك تشيلدبرت في عام ٥٧٥ م [٥] ، ينتهي في عام ٥٨٠ م بالأحداث التي رواها جريجوري عن تنبأ سالفيوس Salvius أسقف مدينة ألب Albi بما حدث للملك تشيلدريك [٦] . ويحتوي هذا الفصل على بعض الجوانب المتعلقة بالاساقفة والكنائس داخل غالة وجانبا عن الأحداث المتعلقة بملوك الفرنجه الذين يؤرخ لهم . ويميز هذا الفصل حديث المؤرخ عن الحروب التي دارت بين

(١) G. T., H. F., p. 210.
(٢) G. T., H. F., p. 223.
(٣) G. T., H. F., pp. 523-6.
(٤) G. T., H. F., pp. 239-41.
(٥) G. T., H. F., p. 254.
(٦) G T. P., H. F., p. 322-3.

السكسون والسوابيين Swabians بعد ما رحل الملك اللمباردي البوين إلى إيطاليا[١]، والحرب التي دارت بين الفرنجه وبين إقليم بريتاني Britany وكيف تم خضوع هذا الإقليم للفرنجة في عام ٥٧٨ م[٢].

كما قدم لنا المؤرخ مادة تاريخية عن عهد الامبراطور طيبريوس وكيف تولى العرش بعد موت الامبراطور جستن الثاني Justin II (٥٦٥ — ٥٧٨ م)، هـذا بالإضافة إلى بعض الجوانب المتعلقة بالامبراطورية البيزنطية وخاصة ما يتعلق بالحرب مـع الامبراطورية الفارسية وعودة الجيوش البيزنطية منتصرة[٣].

ويضيف المؤرخ في هذا الفصل جانباً جديداً هو الحديث عن الضرائب الجديدة التي فرضها الملك تشيلبريك[٤]، كما تحدث عن الوباء الذي اجتاح إقليم غالة في أغسطس عام ٥٨٠ م، وكان سبباً في هلاك الكثير من المواطنين ومنهم ابن الملك تشيلبريك الذي لم يكن قد عمد بعد[٥].

والفصل السادس يتكون من ستة وأربعين موضوعاً، ويبدأ بأحداث عام ٥٨١م الخاصة بتحالف الملك تشيلدبرت في باريس مع أخيه غير الشقيق الملك تشلبريك في سواسون، بعد ما نقض الأول تحالفه مع أخيه غـير الشقيق أيضاً جونترام في أورليان وذلك بسبب عصيان الوالي مومولوس Mummolus[٦]، وينتهي هذا الفصل بأحداث عام ٥٨٤م، ومنهـا اغتيال الملك تشيلبريك في قصره بالضيعة الملكية التي كانت قائمة في شاز Chelles الواقعة على بعد اثني عشر ميلا شرقي باريس. وقد تم اغتيال الملك اثناء عودته من رحلة صيد[٧].

وقد ورد في هـذا الفصل أحداث تاريخية ودينية تميزت بالطابـع

---

(١) G. T., H. F., pp. 272-3.
(٢) G. T., H. F., pp. 290-2.
(٣) G. T., H. F., pp. 292-4.
(٤) G. T., H. F., pp. 291-2.
(٥) G. T., H. F., pp. 296-8.
(٦) G. T., H. F., p. 327.
(٧) G. T., H. F., p. 379.

الأسطوري، ولكنه حوى مادة تاريخية طيبة خاصة عندما تحدث عن عودة السفارة الفرنجية في عام ٥٨١ بعد ثلاث سنوات، وهي السفارة الـتي كان قد أرسلها الملك تشيلبريك إلى الامبراطور البيزنطي طيبريوس، والصعاب الـتي لاقتها السفارة في طريق العودة بسبب انـدلاع الحرب في مدينة مرسيليا Marseilles بين الاخوين الشقيقين تشيلبريك وجونترام ممـا يشير إلى أن السفارة كانت قادمة عن طريـق البحر. كما أشار إلى أن السفارة قد عادت بعد ما انجزت الأعمال الـتي كانت موكولة اليها، وأنهـا عادت محملة بالهدايا التي أرسلها الإمبراطور طيبريوس[١].

كما تحدث المؤرخ جريجوري عن عودة سفارة فرنجية في عـام ٥٨٢م، وهي السفارة الـــتي كان الملك تشيلبريك قد أرسلها إلى أسبانيا بغرض زواج ابنته ريجونت Rigunth من ريكارد Recared ابن الملك القوطي ليوفيجيلد Leuvigild (٥٧٠–٥٨٦م). وقدم لنا ايضاً مادة تاريخية طيبة عن أحوال إسبانيا القوطية ومحاولات الامبراطور البيزنطي طيبريوس استعادتهـــا كما تحدث عن انتشار الديانة المسيحية على المـذهب الكاثوليكي في إسبانيا على حساب المذهب الأريوسي، والجهود التي بذلت في هذا السبيل[٢]. ومـع رواية المؤرخ إلى عودة هذه السفارة تحدث عن الجراد الذي اجتاح مدينة كاربيتانيا Carpitania من ضواحي مدينة طليطلة عاصمة القوط وأثر ذلك على النواحي الاقتصادية بالمنطقة وقد أشار إلى أنه استقى هذه المعلومات من السفارة نفسها[٣].

وتناول في هذا الفصل أيضاً وفاة الامبراطور طيبريوس وتحدث عن صفاته الطيبة وترشيحه لـلإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢–٦٠٢م)، وهو على فراش الموت وموافقة الامبراطورة صوفيا Sophia — أرمـــلة جستين الثاني Justin II (٥٦٥–٥٧٨ م) — على هذا الترشيح وزواج موريس من ابنه طيبريوس[٤].

(١) G. T., H. F., pp. 327-8.
(٢) G. T., H. F., pp. 348-9.
(٣) G. T., H. F., pp. 363-4.
(٤) G., T. H. F., pp. 358-9.

وكتب المؤرخ في هذا الفصل مسيرة الملك تشيلدبرت إلى إيطاليا في عام ٥٨٤م وفزع اللمبارد من القوات الفرنجية واستسلامهم له ، وكتب عن الهدايا التي قدمها اللمبارد لملك الفرنجه وما تبع ذلك من إعلان اللمبارد الولاء والتبعية للملك تشيلدبرت . كما تناول مشروع الملك الفرنجي عن غزو إسبانيا بعد عودته من إيطاليا . ولما علم الامبراطور موريس بالصلح الذي تم بين الملك تشيلدبرت واللمبارد غضب لهـذا التصرف لأن موريس كان قد أرسل خمسين ألف قطعة من الذهب من أجل هـذا الغزو ، وطالب موريس بأمواله ولكن تشيلدبرت لم يجبه إلى طلبه [١].

كما تحدث عن قدوم سفارة قوطية في سبتمبر عام ٥٨٤ م إلى باريس لمقابلة الملك تشيلبريك[٢]. وقدم لنا مادة تاريخية عن أقليم جاليسيا Galicia في عهد حاكمها أنديكا Andica وكيف وصل إلى العرش عندما تزوج من إبنة الملك يورك Euric وما تـلي ذلك من أحداث عندما أجبر أنديكا الملك يورك على الرهبنة وحل محله في حكم البلاد [٣].

والفصل السابع يحتوي على سبعة وأربعين موضوعاً . والأحداث المسجلة به تبدأ بموت سلافينوس أسقف مدينة ألب في عـام ٥٨٤ م[٥] ، وتنتهي بالحرب الأهلية التي وقعت في عـام ٥٨٥ م [٤]. والعديد من الموضوعات التي وردت في هذا الفصل تتعلق بالأحوال الداخلية لدولة الفرنجة والصراع على الحكم . وقد ورد على سبيل المثال الصراع الذي دار بين سكان مدينة شارتر Chartres وأورليان عقيب وفـاة الملك تشيلبريك وموقف أرملته فردجوند Fredegund من هذا الصراع وهروبها من مدينة سواسون إلى باريس ومعها كنوزها التي هربتها عبر أسوار سواسون وطلبها المساعدة من الملك جونترام في أورليان. هذا بالاضافة الى موقف تشيلدبرت الثاني

(١) G. T., H. F., p. 375.
(٢) G. T., H. F., p. 377.
(٣) G. T., H. F., pp. 375-6.
(٤) G. T., H. F., p. 385.
(٥) G. T., H. F., pp. 428-9.

(ت ٥٩٥م) بين فردجوند والجرائم التي عددها لها وطلبه من الملك جونترام تسليمها ورفض جونترام طلب تشيلدبرت الثاني[١]. وبقاء فردجوند في باريس واتخاذها من الكنيسة ملاذا لها[٢]. ثم تناول الصراع الذي تم بين فردجوند وبين برانهيلد Brunhild – أرملة الملك سيجرت والوصية على عرش أستراسيا – وكيف أرسلت فردجوند لمحاولة اغتيالها[٣].

كما تناول المؤرخ في هذا الفصل المجاعة التي عمت غالة بأكملها، وأن الناس لجأوا الى صناعة الخبز من بذور العنب وأنهم اضطروا الى أكل الحشائش وهلاك الكثير من الأهالي إثر هذه المجاعة، كما أن الفقراء باعوا أنفسهم كعبيد من أجل الحصول على لقمة العيش[٤]. وختم جريجوري هذا الفصل بالحرب الأهلية التي وقعت في مدينة تور وأن سببها يرجع إلى حادثة قتل، وتناول الآثار التي ترتبت عليها وبين لنا في نهاية هذه الاحداث تدخل الكنيسة بين الأطراف المتصارعة واخمادها الفتنة وقسم المتخاصمين على عدم إحداث متاعب بعد ذلك[٥].

أما الفصل الثامن فيتضمن ستة وأربعين موضوعاً، ويبدأ برحلة الملك جونترام من مدينة شالون Chalon الى اورليان عبر مدينة نيفر Nevers في عام ٥٨٥م[٦] وينتهي بأحداث موت ملك القوط الغربيين ليوفيجيلد Leuvigild عام ٥٨٦ م[٧] . ورغم قصر المدة الزمنية التي تناولها المؤرخ جريجوري في هذا الفصل فإنه تناول العديد من الحوادث الداخلية والخارجية للدولة الميروفنجية . ومن أهم ما سجله جريجوري في هذا الفصل الأحداث المتعلقة بالصراع البيزنطي الميروفنجي في هذه المرحلة وذلك عندما أرسل تشيلدبرت الثاني قواته إلى إيطاليا لمقاومة القوات البيزنطية التي وصلت إلى هناك لمطالبة الملك تشيلدبرت الثاني بالأموال التي أخذها من الامبراطور

(١) G. T., H. F., pp. 389-90.
(٢) G. T., H. F., pp. 398-9.
(٣) G. T., H. F., pp. 401-2.
(٤) G. T., H. F., p. 427.
(٥) G. T., H. F., pp. 429-30.
(٦) G. T., H. F., p. 433.
(٧) G. T., H. F., p. 477.

البيزنطي موريس لمحاربة اللمبارديين في ايطاليا . وأوضح جريجوري أن سبب إرسال تشيلدبرت لقواته يرجع إلى شائعة سرت بأن إنجوند Ingund اخت تشيلدبرت الثاني قد حملت أسيرة إلى القسطنطينية وأضاف أن الجيش الميروفنجي عاد أدراجه دون أن يحقق أي نجاح بسبب الخلاف الذي وقع بين القواد [١] .

وأوضح في هذا الفصل أيضاً إعداد جونترام لجيشه للتوجه إلى أسبانيا في عـــام ٥٨٥ م وأنه أمر قواته بالاستيلاء على سبتمانيا Septimania التي كانت تحت سيطرة القوط الغربيين على أساس أن هذا الإقليم يجاور لاقليم غالة ، وأوضح لنا استعداد جيش جونترام والخراب الذي لحق ببعض مدن إقليم سبتمانيا [٢]. واستكمالاً لهذه القضية أوضح لنا جريجوري قدوم سفارة من أسبانيا في العام نفسه بقصد عقد السلام مع الملك جونترام وأن السفارة عادت إلى أسبانيا دون أن تحقق أهدافها [٣] . وتحدث المؤرخ أيضاً عن قدوم سفارة قوطية أخرى من أسبانيا في عـام ٥٨٦ م ، من أجل إقرار السلام بين الملك جونترام والملك القوطي الغربي ليوفيجيلد وعودة السفارة دون التوصل إلى نتائج [٤].

كما أوضح لنا في هذا الفصل أيضاً قيام ريكارد Ricard إبن الملك ليوفيجيلد بالتقدم إلى ناربون Narbonne في عام ٥٨٦ م الواقعة في إقليم سبتمانيا وانه استولى على العديـد من الغنائم داخل المقاطعات الميروفنجيه وعودته إلى إسبانيا [٥].

وتحدث في هذا الموضع عن رُسل فردجوند الذين حاولوا إغتيال الملك جونترام والقبض عليهم وإعترافهم بأسرار عملية الاغتيال [٦].

---

(١) G. T., H. F., pp. 449 50.
(٢) G. T., H. F., pp. 459-62.
(٣) G. T., H. F., p. 469.
(٤) G. T., H. F., p. 470.
(٥) G. T., H. F., p. 470.
(٦) G. T., H. F., pp. 475-6.

وتناول المؤرخ أيضاً في هذا الفصل الأمطار التي اجتاحت البلاد في صيف هذا العام وتحدث عن التخريب الذي ألحقته بالاراضي والعواصف التي صاحبت الأمطار وإغراقها لبعض الزوارق وأن فصل الصيف صار كما لو كان فصل الشتاء(١). وختم الفصل بمرض الملك القوطي الغربي ليوفيجيلد بعد سبعة أيام وتولى إبنه ريكارد العرش خلفاً له، لأن ليوفيجيلد كان قد حارب ابنه الأكبر هرمانجيلد وقتله لاعتناقه المذهب الكاثوليكي(٢). فقد كان القوط الغربيون يدينون بالمذهب الأريوسي في هذه المرحلة، واعتنق ريكارد الكاثوليكية في مرحلة لاحقة في عام ٥٨٧ م(٣).

والفصل التاسع يحتوي على أربعـــة وأربعين موضوعاً ويبدأ ببعض الأحداث التي وقعت في بقية عـام ٥٨٦ م، المتعلقة بقيام الملك القوطي الغربي ريكارد بارسال مبعوثيه إلى كل من جونترام وتشيلدبرت الثاني من أجل اقرار السلام، بعد ما تمكن ريكارد من اقرار السلام داخل دولته القوطية وتصالحه مع زوجة أبيه جويسوينث Goiswinth(٤). وختم هذا الفصل بالأحوال الجوية لعـــام ٥٩٠ م، والفيضانات التي أحدثتها الأمطار والخراب الذي أصاب البلاد(٥).

والاحداث التاريخية في هذا الفصل واردة بتفاصيل كثيرة وقد اشتملت على جوانب متعددة في المجال الداخلي والخارجي. ولعل أهم مـــا ورد في هذا الفصل معاهدة السلام التي عقدها الملك جونترام مع بقية حـــكام الفرنجة وهي المعروفة بمعاهدة أندلوت Andelot الموقعة في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ٥٨٧م. وقد أورد المؤرخ جريجوري نص المعاهدة بجميـــع بنودها(٦).

وفي هذا الموضع يركز جريجوري وهو كاثوليكي المذهب على تحـــول

(١) G. T., H. F., p. 455.
(٢) G. T., H. F., p. 456.
(٣) G. T., H. F., p. 497.
(٤) G. T., H. F., p. 481.
(٥) G. T., H. F., p. 539.
(٦) G. T., H. F., pp. 493-4, 503-7.

ريكارد ملك القوط الغربيين في إسبانيا من الأريوسية إلى الكاثوليكية بعد ما تم لقاء بين بعض رجال الدين من المذهبين واقتناع ريكارد بصحة المذهب الكاثوليكي[١]. وبين لنا المؤرخ قيام الملك ريكارد بإيفاد الرسل الى جونترام وتشيلدبرت الثاني بهدف عقد السلام بعد ما اتبع المذهب الكاثوليكي وهو المذهب الذي كان يدين به الفرنجة[٢]. وابرز لنا جريجوري توسطه بين الملك جونترام وتشيلدبرت الثاني لحفظ السلام داخل الدولة الميروفنجية بعد ما تعكر صفو السلام بينهما، في عام ٥٨٨م ونجاح المؤرخ في هذه المهمة[٣]. ولكنه كان نجاحاً جزئياً فقد حدثنا المؤرخ مرة أخرى عن توتر العلاقات بين الملكين مرة أخرى، وعاود الحديث عن الصراع بين القوط الغربيين والفرنجة وأن جونترام أعد جيشه للسير الى سبتمانيا[٤].

وانتقل المؤرخ من الحديث عن القوط الغربيين في أسبانيا إلى اللمبارد في إيطاليا وسجل لنا قدوم سفارة من الملك اللمباردي أوثاري Authari وهو الذي أطلق عليه المؤرخ إسم أبتشار Aptachar (ت ٥٩٠ م) إلى الملك تشيلدبرت الثاني بغرض زواج اخت الأخير إلى الأول، وموافقة تشيلدبرت على المبدأ ثم ما كان من الحرب التي دارت بين قوات الفرنجة واللمبارد وهزيمة الفرنجة شر هزيمة في إيطاليا[٥]. وأعقب ذلك بالحديث عن الهدنة التي عقدت بين الطرفين وكيف حافظ اللمبارد على السلام[٦].

وقدم جريجوري في هذا الفصل جوانب أخرى غير الجوانب السياسية وسجل لنا أحداث المجاعة التي وقعت في عام ٥٨٧ م[٧]، والوباء الذي اجتاح مدينة مرسيليا وأثر ذلك على البلاد[٨]. كما صور لنا التعسف الذي مارسه جامعو الضرائب في بعض المدن بغرض جمع الضرائب الجديدة التي فرضها الملك تشيلدبرت الثاني[٩].

(١) G. T., H. F., pp. 497-8.
(٢) G. T., H. F., pp. 499-500.
(٣) G. T., H. F., pp. 502-3.
(٤) G. T., H. F., pp. 517-8.
(٥) G. T., H. F., pp. 512-3.
(٦) G. T., H. F., p. 515.
(٧) G. T., H. F., p. 500.
(٨) G. T., H. F., pp. 510-11.
(٩) G. T., H. F., pp. 515-7.

والفصل العاشر والأخير يتكون من واحد وثلاثين موضوعاً ويبدأ بأحداث عام ٥٩٠ م المتعلقة باعتلاء البابا جريجوري الأول (٥٩٠ – ٦٠٤ م) عرش البابوية في روما والمواعظ التي ألقاها البابا في هذه المناسبة [١]. وأنهى المؤرخ هذا الفصل بثبت لأسماء الأساقفة الذين تولوا أسقفية مدينة تور منذ عام ٢٤٩ م وهم ثمانية عشر عدا جريجوري [٢].

واشتمل هذا الفصل على جوانب متعددة كما هي عادة المؤرخ فتكلم عن الأحداث الداخلية والدينية والخارجية. ففي المجال الداخلي والديني تناول المؤرخ قيام الملك تشيلدبرت بتخفيف الضرائب المفروضة على رجال الدين في مدينة كليرمونت – فراند [٣]. كما تناول الجدال الذي تم حول طبيعة السيد المسيح وأفرد له صفحات عديدة [٤].

وفي المجال الخارجي قدم لنا المؤرخ مادة تاريخية عن العلاقات البيزنطية وسجل لنا قيام الامبراطور موريس بإرسال إثني عشر رجلاً مكبلين بالحديد بعد إدانتهم بقتل مبعوثي الملك تشيلدبرت إلى الامبراطور [٥]. وحول العلاقات البيزنطية الميروفنجية تناول المؤرخ عودة جريبو Grippo مبعوث الملك تشيلدبرت الثاني إلى الامبراطور البيزنطي موريس، وما ذكره جريبو عن رحلته التي بدأت عام ٥٩٠ م، وما كان من اتجاهه إلى قرطاجنه Carthage، وانتظاره هناك لحصوله على إذن لمواصلة الرحلة [٦]، مما يشير إلى أن الرحلة كانت عن طريق البحر.

كما قدم لنا في المجال الخارجي مادة تاريخية طيبة عن سقوط مدينة أنطاكية عام ٥٧٣ م في يد الفرس. وأخبرنا أنه استقى مادته التاريخية من الأسقف الأرميني سمعان الذي زاره في عام ٥٩١، بعد نفيه من بلاده. وسمعان هذا كان أحد الأسرى الذين سيقوا إلى فارس ثم أطلق سراحه. ومن هنا تأتي أهمية ما سجله جريجوري من سمعان باعتباره أحد شهود العيان [٧].

(١) G. T., H. F., pp. 543-6.
(٢) G. T., H. F., pp. 593-601.
(٣) G. T., H. F., pp. 553.
(٤) G. T., H. F., pp. 560-6.
(٥) G. T., H. F., p. 551.
(٦) G. T., H. F., pp. 547-9.
(٧) G. T., H. F., pp. 582-4.

بعد هـذا التحليل لكتاب تاريخ الفرنجة يمكن القول إن جريجوري كان رجلاً متعدد الثقافة واستطاع أن يبرز لنا ملاحظاته عن الأحداث التي جرت في عصره بكل دقة ومهارة ، وأنه كان رجلاً عادلاً واستطاع بشخصيته المتعددة الجوانب أن يقضي فترة أسقفيته كرجل أمـين عادل ومؤرخ قلما يجود الزمان بمثله .

فقد صور لنا المرض الذي اجتاح إقليم غالة في اغسطس عام ٥٨٠ م وانه قضى على ١/١٠ من سكان غالة ، وكيف هاجم الوباء الأطفال . وأنه كرجل دين أنهى حديثه بقوله : إن الله أعطى ، إن الله أخذ (١) .

كما أوضح لنا الظروف السيئة التي عاشها المواطنون وما كان من فرض ضرائب جديدة عليهم ، وانه دافع عن أهل مدينة تور وأوضح أن العهد الذي قطعه أهل المدينة للملك تشيلدبرت الثاني يقضي بعدم فرض ضرائب جديدة وأن تستمر فقط الضرائب التي كانت مفروضة منذ عهد الملك لوثير الأول (٢) . وحول سوء الأحوال وعـدم الاستقرار وصف المؤرخ الحالة بقوله : إنه مـا من يوم يمر إلا ونسمع بمقتل شخص ولا تمر علينا ساعة إلا وتحدث معركة (٣). ولا شك أن جريجوري كان قريباً من رجال الحكم والادارة ، وأنه عرف كيف يسجل الحوادث بكل دقة .

وتجلى ذلك عندما سجل ما كان يجري في الأديرة ، فكتاباته حول هذا الموضوع تبدو كما لو كانت مذكرات يومية ، وان ما كتبه هو خلاصة تجاربه وملاحظات سنوات عمره ، ويتضح ذلك بصفة خاصة ما كتبه عن الأحداث الـتي جرت في دير سانت راديجوند St. Radegund في مدينة بواتيه (٤).

ويمكن القول إن جريجوري قد إهتم بهذا الجانب بوصفه أحد رجال الدين . ولكنه رغم كونـــه رجل دين فقد وصف لنا المعارك العسكرية

---

(١) G. T., H. F., p. 296.
(٢) G. T., H. F., p. 516.
(٣) G. T., H. F., pp. 568-9.
(٤) G. T., H. F., p. 541.

بمنتهى الوضوح والتفصيل . كما أنه صور المنطقة التي حدثت فيها المعارك تصويراً جغرافياً [١]، بصورة تجعل القارئ يعيش أجواء المعركة .

وكان جريجوري حريصاً عند روايته للأحداث ولا يصدر الأحـــكام جزافاً على المادة التاريخية ، فعندما روى مصرع هرمانفرد Hermanfrid ملك ثورنجيا Thuringia ذكر أن أحد الاشخاص دفعه من فوق الأسوار فسقط على الأرض ومات وان الذي دفعـــه لا نعرفه وأن هناك بعض الناس يقولون إن الملك ثيودريك له ضلع في هذه المؤامرة [٢] . وعندما تحدث عن وفاة ليوفيجيلد الملك القوطي ذكر أن البعض يقول إنه اعتنق الكاثوليكية وهو على فراش الموت [٣] . وكما كان متحفظاً كان جريئاً في حكمه فقد شبه الملك تشيلبريك ووفاته في عـــام ٥٨٤ م ، بالامبراطور الروماني نيرون Nero (٥٤ – ٦٨م) ، الذي أحرق روما ، وهيرودس [٤] Herod حاكم إقليم يهودا (٣٩ ق. م – ٤٠ م) الذي قتل جميع الصبيان في في بيت لحم أيام ولادة السيد المسيح [٥] ، ويرجع جريجوري هذا التشبيه إلى سوء مسلك تشيلبريك وخلقه الشرير .

ورغم هذا كله فقد كان جريجوري يميل الى الوصف الخيالي في بعض الأحيان. ويتضح ذلك من حديثه عن الحرب التي دارت بين جيش الملك كلوفس وبين جيش هيرمانفرد ملك الثورنجيين وانهزام هيرمانفرد وقواته بعد مذبحة رهيبة عند نهـــر أنستروت Unstrut وأن جثث الثورنجيين تراكمت في قاع النهر وان جنود الفرنجة كانوا يعبرون عليها كما لو كانت قنطرة [٦] .

وقد وقـــع المؤرخ جريجوري التوري في بعـض الاخطاء ولا يتسع المجال هنا للحديث عنها كلها، ويكتفي الباحث في هذا البحث بذكر بعضها

---

(١) G. T., H. F., pp. 417-8, 420-1.

(٢) G. T., H. F., p. 169.

(٣) G. T., H. F., p. 477.

(٤) G. T., H. F., p. 379.

أنظر أيضاً متى: الاصحاح الثاني، ١ - ١٦.

(٥) G. T., H. F., p. 380.

(٦) G. T., H. F., p. 186.

على سبيل المثال. وقد اختار الباحث خمسة أخطاء تناثرت في ثنايا كتاب تاريخ الفرنجة على مدى ستين عاماً تقريباً، ويقدمها الباحث هنا حسب ترتيبها الزمني.

والخطأ الأول يتعلق بموت آمالاسونتا Amalasuntha ابن ثيودريك ملك القوط الشرقيين، التي أصبحت وصية على ابنها بعد موت والدها في عام ٥٢٦م. فقد ذكر جريجوري أن وفاتها كانت في الحمام عندما سقطت على ارضيته الحجرية وماتت في الحال[١]. والحقيقة أن موت آمالاسونتا يرجع إلى مؤامرة دبرها لها زوجها ثيوداهاد Theodahad حتى ينفرد بالحكم مستغلا معارضة القوط لها. وبناء على أوامر ثيوداهاد تم القبض على آمالاسونتا ونفيت إلى جزيرة في وسط بحيرة بولسنا Bolesna الواقعة في وسط ايطاليا، حيث تم أعدامها بعد ذلك[٢] في عام ٥٣١م[٣].

والخطأ الثاني يختص بالملك اللمباردي البوين Alboin (٥٦٨—٥٧٢م). وقد ذكر المؤرخ ان البوين قاد اللمباردين إلى ايطاليا بهدف الاستقرار بها لذلك جاء مع الجيش الزوجات والأولاد وتم الاستيلاء على الاقليم وظلوا يعيثون فيه فساداً لمدة سبع سنوات سلبوا فيها الكنائس وقتلوا الاساقفة[٤]. والمعروف أن البوين دخل ايطاليا في عام ٥٦٨م ومات في عام ٥٧٢م[٥]. وأن مدة حكمه في ايطاليا كانت حوالي أربع سنوات كان اللمبارد فيها تحت إمرته وليس سبع سنوات كما أوردها المؤرخ. وهناك تفسير آخر لما أورده جريجوري وهو القول أن البوين ومن حكم بعده مارسوا سياسة التخريب لمدة سبع سنوات. ولكن جريجوري وهو معاصر لهذه الأحداث وقريب منها كان بوسعه أن يمدنا بمادة تاريخية لا لبس فيها.

والخطأ الثالث مرتبط بوقع مدينة أنطاكيه التي سقطت في يد الفرس

---

(١) G. T., H. F., p. 188. (٢) Moss, op. cit., p. 101.

(٣) إسحق عبيد : من الارك إلى جستنيان ، دار المعارف ١٩٧٧ ص ١٤١.

(٤) G. T., H. F., pp. 235-6.

(٥) وقد إغتالته زوجته روزاموند Rosamund انظر Lot, F., op. cit., pp. 285-6.

عام ٥٧٣م في عهد الامبراطور طيبريوس. وقـــد أورد المؤرخ أن مدينة أفاميه Apamea في سوريا ومدينة انطاكيه في مصر قد سقطتا في يـــد الفرس وتم أسر العديد من الأهالي[١]. والمعروف أن مدينة انطاكية تقع في شمال الشام وليس في مصر. وفي اعتقاد الباحث أن هـــذا الخطأ هو زلة قلم، فقـــد تحدث عن القديس جوليان Julian وكنيسته في أنطاكيه، ولا شك أن جريجوري وهو من كبار رجـــال الدين في عصره يعرف بالتحديد مكان مثوى القديس جوليان.

والخطأ الرابع ينتمي الى الامبراطور البيزنطي جستين الثاني وقـــد أورد المؤرخ أنه حكم لمدة ثمانية عشر عاماً، وبعـــد موته تولى القيصر طيبريوس عرش الامبراطورية[٢]. والحقيقة التي اتفق عليهـا المؤرخون أن الامبراطور جستين الثاني حكم من ٥٦٥ – ٥٧٧م[٣]، وهي مدة تقرب من إثني عشر عاماً وليست ثمانية عشر.

والخطأ الخامس والأخير يتعلق بالشخصية التي خلفت الملك اللمباردي أوثاري (أبتشار). وقد روى المؤرخ جريجوري أن أوثاري أرسل سفارة الى الملك جونترام بناء على رغبـة الأخير. وبينما كانت السفارة في قصر الملك أتى بعض المبعوثين الى البلاط وذكروا خبر وفـاة الملـك أوثاري وأن بولس Paul تولى العرش من بعده[٤]. والواقـــع ان الذي تولى عرش اللمبارديين بعد أوتاري هو أجيلولف Agilulf دوق تورين Turin وحكم من ٥٩٠ – ٦١٦م[٥].

وبعد ما القينا الضوء على المؤرخ جريجوري التوري وحللنا كتابه تاريخ

---

(١) G. T., H. F., p. 235.

(٢) G. T., H. F., pp. 292-3.

(٣) عن موت جستين الثاني أنظر : Procopius, op. cit., II, XXVIII, 1-2

راجع ايضاً Ostrokorsky, History of The Byzantine State, Oxford, 1956, p. 73.

(٤) G. T., H. F., pp. 551.

(٥) Thompson, History of The Middle Ages, London 1931, p. 413.

الفرنجة تبقى نقطة ثالثة في هذا البحث ، وهي تأريخ جريجوري للملك كلوفس من خلال كتابه تاريخ الفرنجة. وخطة الباحث في هذا الموضع هو ترجمة ما سجله المؤرخ عن كلوفس ثم القيام بالتعليق على المادة التاريخية عندما يجب التعليق.

يقول جريجوري في الفصل الثاني – الموضوع السابع والعشرين ، في بداية حديثه عن كلوفس : والحدث الثاني هو موت شيلدريك ، فخلفه إبنه كلوفس على العرش[1]. وفي السنة الخامسة من حكمه[2] ، كان سياجريوس Syagrius ملك الرومان[3] ، إبن ايجيديوس Aegidius – يعيش في مدينة سواسون حيث كان والده يتخذها مقراً لحكمه . وقد سار إليه كلوفس واصطحب معه أحد أقربائه وهو راجناشر Ragnacher الذي كان يتمتع بنفوذ قوي ، وتحدى كلوفس سياجريوس في معركة عسكرية. ولما كان سياجريوس لا يخشى الملك كلوفس فقد خرج لملاقاته . وتحارب الطرفان وهُزم سياجريوس هزيمة ساحقة وفر الأخير مسرعاً واتخذ طريقه إلى تولوز Toulouse مقر الملك الآريك الثاني Alaric II[4]. وطلب كلوفس من الآريك تسليم سياجريوس ، وهدده بمهاجمته إن ظل محتمياً به . ولما كان الآريك خائفاً من غضب الفرنجة لأن العناصر القوطية عناصر جبانة ، سلم الآريك سياجريوس مقيداً إلى مبعوثي الملك كلوفس . وعندما أصبح سياجريوس بين يدي كلوفس أمر بسجنه ثم قتله سراً بعد ما استولى على ملكه[5].

---

(١) مات شيلدريك في عام ٤٨١ م، وحكم كلوفس من ٤٨٢ – ٥١١ م انظر :
Thompson, op. cit., p. 62.

(٢) عام ٤٨٦ م.

(٣) لم يكن ملكاً للرومان بل كان قائد للقوات الرومانية وحكم الاقليم حكماً مستقلاً مثله في ذلك مثل والده. أنظر : Moss, op. cit., p. 63.

(٤) هو ملك القوط الغربيين وحكم من ٤٨٣ – ٥٠٧ م. وقد تحرك القوط إلى اسبانيا في عهد ابنه عموري. انظر ما يلي ص ٤٠

(٥) بعد هذه الاحداث لم يعد للأمبراطورية البيزنطية ممثل لها في غرب أوروبا أنظر :
Duruy, The History of The Middle Ages, New York, 1891, p. 29. =

وفي أثناء ذلك نهبت قوات كلوفس الكثير من الكنائس لأن الملك كلوفس كان لا يزال على عقيدته الوثنية . وقـد إستولى الجنود على وعاء كبير الحجم دقيق الصنع وبعض أشياء أخرى ثمينة كانت تستخدم في أعمال الكنيسة . وقد قام أسقف الكنيسة بإرسال الرسل إلى الملك كلوفس يطلب منه إعادة الأشياء المنهوبة ، وإذا تعذر إعادتها كلها فيجب إعادة الوعاء على الأقل إلى الكنيسة .

وقد استمع كلوفس إلى الرسل ووافق على طلبهم وطلب منهـم أن يتبعوه إلى مدينة سواسون حيث توزع الأسلاب التي تم الاستيلاء عليها. وأخبر كلوفس الرسل بأنه سيرد لهم الوعـــاء الذي طلبه الاسقف اذا كان الوعــــاء ضمن نصيب كلوفس من الغنائم. وعندما وصل الجميع إلى سواسون حيث الاسلاب التي وضعت في كومة واحدة أمام الجميع، طلب الملك كلوفس من رجاله أن يدلوه على مكان الوعاء المطلوب، فـأخبروه ان هذا الوعاء ضمن النصيب المخصص له. ولكن كلوفس طلب من رجاله الاشداد ان يوافقوا على منحه الوعاء بالاضافة الى نصيبه المعتاد. وأصغى الجميع الى ما قاله كلوفس ثم قال له بعض الجنود: ان كل ما أمامنا هو ملك لك لأن كل الجنود رجالك وتحت إمرتك ولك ان تفعل ما تشاء وليس بوسع أحدنا أن يعترض. وأثناء هذا الحدث قـــام جندي فاشل طماع أهوج ورفع بلطته وضرب الوعاء، وقال للملك كلوفس: ليس لـك من هذه الغنائم سوى نصيبك المتعارف عليه، فاندهش الجميع من هـــذه الكلمات. ولكن كلوفس كتم غيظه في صبر شديد وأخذ الوعاء وسلمـه الى مبعوثي الكنيسة بعد ما استنكر في نفسه ما حدث.

وفي نهاية العام[1] دعى كلوفس كل رجـال جيشه للاجتماع في ساحة

= لأن أدواكر Odoacer ملك الهيرول Herule قضى على الامبراطورية في الغرب عام ٤٧٦ م.
أنظر :
La Monte, The World of The Middle Ages, New York, 1949, p. 10, 41.

(١) ٤٨٦ م.

الاستعراض ليتفقد معدات الجند. وجال الملك بين صفوف قواته للتفتيش حتى وصل إلى الجندي الذي كان قد ضرب الوعاء، وقال له كلوفس: لا يوجد جندي غيرك ومعداته في حالة سيئة مثلك ، فإن رمحك غير مثبت وكذلك سيفك وبلطتك ، ثم أمسك ببلطة الجندي والقى بها على الأرض . وعندما إنحنى الجندي ليلتقط بلطته رفـــع كلوفس بلطته الحربية وطوح بها في الهواء وهوى بها على رأس الجندي فهشمتها ، وصاح قائلاً : هذا ما فعلته بوعائي في سواسون ومات الجندي . أما الجنود الذين فزعوا من هـــذا الحادث فقد أمر كلوفس بطردهم من الخدمة العسكرية [١].

ودخل كلوفس في حروب عديدة وانتصر كثيراً ، وفي السنة العاشرة من حكمه غزا ثورنجيا Thuringia وأخضعها لحكمه [٢].

٢٨ – كان ملك برجانديا يدعى جنديوك Gundioc ويرجع أصله إلى عائلة الملك أثاناريك Athanaric الذي عذب المسيحيين وقد سبق الحديث عنه [٣].

وكان لجنديوك أربعة أولاد هم جندوباد Gundobad ، وجوديجيزل Godigisel، وشيلبريك Chilperic وجندومار Gandomar وقـد قتل جندوباد أخاه شيلبريك وأغرق زوجته بوضع حجر في رقبتها ، وأبعد ابنتيه الكبرى وتدعى شروما Chroma التي سلكت الرهبنة ، والصغرى وتدعى كلوتيلد Clotild . وإلى برجانديا كان كلوفس يرسل بمبعوثيه من وقت لآخر ، وقد شاهد هؤلاء المبعوثون كلوتيـلد ولاحظوا أنها فتاة صغيرة السن وذكية ولطيفة وان الدماء الملكية تجري في عروقها ، وقد أخبروا كلوفس بكل

---

(١) لم تكن سلطات الملك الميروفنجي ذات حدود معينة ، ولكن قصة وعاء سواسون تدل على أن الملك لم يكن فوق القانون . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل أنظر : كرامب : تراث العصور الوسطى، ترجمة ومراجعة مجموعة من اساتذة الجامعات المصرية، القاهرة ١٩٦٧ جـ ٢، ص٦٥٦ – ٦٥٧.

(٢) ٤٩٢م.

(٣) أثاناريك هو أحد زعماء القوط وعن تعذيبه للمسيحيين انظر:
G. T., H. F., pp. 114-4.

ما عرفوه عنها ، وعلى الفور أرسل كلوفس بعض الرسل إلى جندوباد يطلب الزواج منها ، ولم يستطع جندوباد الرفض فوافق على الزواج وسلم كلوتيلد لمبعوثي كلوفس فعادوا بها وقدموها لملكهم . ورغم أن كلوفس كانت له عشيقة أنجبت ولداً يدعى ثيودريك[1] ، فإنه تزوج كلوتيلد بعدما شاهدها وأعجب بها.

٢٩ — وكان الطفل الأول الذي وضعته كلوتيلد ذكراً ، وأرادت أن يكون هـذا الطفل مسيحياً ويتم تعميده فظلت تحث زوجها الملك كلوفس على الموافقة على ذلك ، وأوضحت له أن الآلهة التي يعبدها باطلة ، وانها ليست قادرة حتى على مساعـدة نفسها فإنها مصنوعة من الحجر أو الخشب أو بعض قطع المعادن القديمة . وأن أسماءها أسماء بشر وليست أسماء آلهة ، وقدمت له مثلاً عن الإله ساتورن Saturn الذي فر بعيداً من ابنه ليتجنب النفي من المملكة ، والآله جوبتر Jupiter الذي ارتكب الفحشاء بكل أنواعها الدنسة ، ولم يمنع رجاله من فعل المساخر مع أقربائه الاناث ، ولم يتورع عن مضاجعة أخته .

ولكي تدلل على قولها قالت كلوتيلد لكلوفس : ماذا فعل الآله مارس Mars والآله ميركوري Mercury لأي انسان ؟. ربما كان لها بعض التأثير بفعل السحر ، ولكنها بكل تأكيد لا تستحق أن تُسمى آلهة مقدسة . ويجب عليك أن تعبد الذي خلق العالم من كلمة والسماء والأرض والبحر من لا شيء وفي كل ذلك يكون ، الذي جعـل الشمس تسطع ، وأضاء السماء بالنجوم وأسكن البحار بالاسماك والأرض بالدواب والسماء بالطيور ، وبارادته تزدهر البساتين بالفاكهة والأشجار بالتفاح والكرمـة بالعنب ، والذي بيديه خلق بني الانسان وبعطاياه أكرهت المخلوقات لتخـدم في رعاية وطاعة من خلقها. وعندما قالت كلوتيلد هذه الكلمات أصبح كلوفس قريباً من الايمان، وكان عليه أن يُؤمن، فكل هذه الاشياء من عمل الله،

---

(١) مات عام ٥٣٤م أنظر: G T., H. F., p. 18.

وان آلهة كلوفس لا تستطيع أن تفعل شيئاً بكل تأكيد، وفوق ذلك ليس هناك دليل على أن الاصنام آلهة بالمرة.

ولما كانت الملكة كلوتيلد واثقة من عقيدتها فقد أعدت ابنها ليتم تعميده، وقد أمرت أن تزين الكنيسة بالتعاليق والستائر على أمل أن يدخل الايمان قلب كلوفس رغم أنه ظل عنيداً أمام زوجته. وتم تعميد الطفل بإسم إنجومر Ingomer ولكن الطفل ما لبث أن توفي في زي العماد الأبيض. وقد حزن كلوفس حزناً شديداً لوفاة ابنه والقى باللوم على زوجته وقال: لو كان الطفل عمد لآلهتي لظل على قيد الحياة، ولكنه بعد أن عمد لآلهتك لم يعش يوماً واحداً. وأجابت كلوتيلد: شكراً لله القدير خالق الاشياء كلها الذي أخذ مني طفلي ولم يرحب به في ملكه بعد ما تكوّن في رحمي، وانني لن أتخلى عن عقيدتي بسبب ما حدث. وأن ابني الذي رحل عن هذا العالم في رداء العماد الابيض سيكون في رعاية الله.

وبعد فترة وضعت كلوتيلد ولداً آخر، وعمد تحت اسم شلودومر Chlodomer، وقد مرض الطفل بعد تعميده، وقال كلوفس لكلوتيلد: ماذا كنت تتوقعين غير ذلك، سوف يحدث له مثلما حدث لأخيه الذي مات بعد ما عمد باسم السيد المسيح، وصلت كلوتيلد لله وطلبت منه أن يشفي طفلها.

٣٠ – واستمرت الملكة كلوتيد في الصلاة بغية أن يهتدي كلوفس إلى الآله الحق وأن يقلع عن عبادة الأوثان، دون أن يدفعه أحد الى ذلك. وفي النهاية نشبت الحرب بين الفرنجة والالماني Alamanni[1]. وأثناء هذه الحرب تقبل كلوفس عن طيب خاطر ما كان يرفضه من قبل. فقد تحول إلى المسيحية عندما التقى الجيشان في ميدان المعركة وجرت مذبحة

(١) وقعت هذه الحرب في العام الذي إعتنق فيه كلوفس الديانة المسيحية وهو عام ٤٩٦ م. انظر ما يلي ص ٣١.

رهيبة وكادت قوات كلوفس تفنى من جرائها. وعندما شاهد كلوفس ذلك شعر بالندم وبكى ورفع رأسه إلى السماء وقال : أيها السيد المسيح ، أنت الذي حدثتني عنك كلوتيلد لتكون ابن الآله الحـــي . أنت الذي تعطي المساعدة للمحتاجين والنصر لمن يثقون بك ، أسألك المجد بمساعدتك وإذا أعطيتني النصر على أعدائي . وإذا ما أصبح لدي دليل على قوة هـــذه المعجزة التي يكرسها البشر لاسمك بعد مـا يصبح ذلك واضحاً ، فانني أؤمن بك وأعمد باسمك وأتخلى عن آلهتي . وعندما تساعدني بعد ما تخلت آلهتي عني فبوسعي الاعتقاد أن ليس لآلهتي قوة لمساعدتي . إني أناديك وأريد أن أؤمن بك ولكن عليك أن تخلصني من أعـدائي . وبمجرد أن نطق كلوفس بهذه الكلمات استدار الألمـــان ولاذوا بالفرار ، وبعد ما شاهد الألمان مقتل ملكهم خضعوا للملك كلوفس [1] ، وقالوا له باستعطاف ضع حداً لهـذه المجزرة ونحن على استعداد للدخول في طاعتك . وأمر كلوفس بوقف المعركة . وبعد المفاوضات عقدت الهدنة ، وعاد كلوفس إلى منزله واستدعى زوجته وأخبرها كيف أحرز النصر عندما دعا باسم السيد المسيح . وقد حدث ذلك في السنة الخامسة عشر من حكمه [2].

٣١ ـ أمرت الملكة كلوتيلد باحضار رميجيوس Remigius أسقف مدينة ريمز إليها سراً . وبعد ما حضر الاسقف توسلت إليه أن يلقن الملك كلمة الخلاص . وقد تقابل الاسقف مـع الملك كلوفس في مقابلة خاصة وبدأ الاسقف يحث الملك عـــلى الاعتقاد في الآله الحقيقي ، خالق السموات والأرض ، وان يتخلى عن عبادة الأوثان التي لا حول لها ولا قوة في مساعدته أو مساعدة أي شخص آخر . وأجاب كلوفس : لقد استمعت إليك عن طيب خاطر ، ولكن هناك مانع واحد . فالرعية لا توافق على

---

(١) بعد هزيمة الألمان دخلوا تحت حماية ثيودريك ملك القوط الغربيين، انظر: سعيد عبد الفتاح عاشـور : أوربا في العصور الوسطى ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٧٥ جـ١ ص ٨٥ ولمزيد من التفاصيل عن الألمان في هذه الرحلة أنظر : Lot, op. cit., p. 317.

(٢) عام ٤٩٦ م.

ترك عبادة الأوثان ، وعلى أية حال سأتوجه إليهم وابلغهم بما قلته .

ونظم كلوفس لقاء مع رجاله ولكن الله بقوته قد سبقه إليهم . وقبل أن يقول كلوفس كلمة واحدة ، صاح الحاضرون صيحة واحدة وقالوا : سنقلع عن عبادة الآلهة الفانية يا ملكنا التقي ، ونحن مستعدون لاتباع الآله الخالد الذي بشر به رميجيوس [1]. وقد سر كلوفس لذلك سروراً عظيماً وأمر باعداد حوض العماد ، وامتلأ الميدان العام بالناس في ملابسهم الملونة وزينت الكنيسة بالتعاليق واعدت أدوات العماد وأحرقت أعواد البخور فملأت المكان بسحب من العطر ، وسطعت أنوار الشموع وامتلأ المكان المبجل الخاص بالعماد برائحة مقدسة ، وملأ الله قلوب الحاضرين بالجلال حتى انهم تخيلوا أن بعض عطور الجنة قد نقلت إليهم . وطلب الملك كلوفس من الاسقف أن يكون أول من يعمّد ، وقد تقدم كلوفس إلى حوض العماد كأنه قسطنطين[2] Constantin الجديد ليتطهر مما علق به من رجس ، ثم لقنه الأسقف بعض الكلمات المقدسة وقال له : اعبد ما كنت تنكره ، واقلع عن ما كنت تعبده .

وكان رميجيوس أسقفاً واسع الثقافة ومدرساً عظيماً أكثر من أي شيء آخر ، كما انه كان مشهوراً لقداسته ومساويا للقديس سيلفستر[3] Silvester في المعجزات التي أنجزها. ولا زال لدينا أخبار عن حياته تخبرنا أنه أحيا رجلاً ميتاً . واعترف كلوفس بالايمان بالله القدير الثالوث المقدس ، وعمّد باسم الآب والابن وروح القدس . ومسح بالزيت المقدس بعلامة الصليب . وقد عمّد في الوقت نفسه أكثر من ثلاثة آلاف من رجاله ، كما عمّدت

---

(١) يتبين من ذلك أن الاسقف كان يبشر بالديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي بين الفرنجة دون أن يعلم كلوفس ، إن صحت هذه الرواية.

(٢) يقصد المؤرخ تشبيه كلوفس بالامبراطور قسطنطين الأول (٣٠٥ — ٣٣٧م) ويعتبر المؤرخ جريجوري التوري أن كلوفس هو اداة لتنفيذ رغبات الله .

La Monte, op. cit., p. 46.

(٣) يقصد به البابا سيلفستر الأول ٣١٤ — ٣٣٥ م . وعن حياته انظر :

McKlliam, A Chronicle of Popes, London, 1912. pp. 26-9.

أخته البوفلد Alboflede ، ولكنها ماتت بعد قليل وصعدت إلى بارئها . وقد أرسل رميجيوس مرثية الى كلوفس بهذه المناسبة قال فيها : لقد تأثرت كثيراً واني أشاطرك الاحزان لفقدان اختك ذات الذكرى الطيبة.

وكان لكلوفس اخت اخرى تدعى لانتشيلد Lanthechild وقد تحولت من الوثنية واعتنقت المذهب الأريوسي. ولكنها اعترفت بالثالوث المقدس في الله والإبن وروح القدس، ومسحت بالزيت المقدس.

٣٢– وحوالي ذلك الوقت كان الأخوان جوندوباد[١] وجوديجيزل[٢] يحكمان المنطقـــة الواقعة حول نهر الرون Rhone والساوون Saone ومقاطعة مرسيليا[٣]. وكانا يدينان بالمسيحية على المذهب الأريوسي مثل الشعوب التي يحكمانها، وكان كل منهما عدواً للآخر. وعندما سمع جوديجيزل بالانتصارات التي أحرزها الملك كلوفس أرســل اليه سراً بعض المبعوثين وقال له: إذا ساعدتني في مهاجمة أخي حتى أقتله في معركة أو أطرده بعيداً عن البلاد، فسأدفع لك جزية سنوية تحدد أنت قيمتها. وقـــد قبل كلوفس العرض بكل ارتياح ووعد بمساعدة جوديجيزل عندما تحين الفرصة المناسبة. وعندما حان الوقت المناسب أرسل كلوفس جيشه لمحاربة جندوباد، وكان الأخير لا يعلم شيئاً عن خيانة أخيه، لذلك أرسل اليه يطلب مساعدته لمقاومة غزو كلوفس لأراضيهم، وطلب منه تكوين جبهة واحدة لمقاومة الغزاة الذين يكرهونها، وذكر له أن عـــدم الاتحاد معناه الهلاك الذي لقيه الآخرون. وقد أبلغ جوديجيزل أخاه جندوباد بانه قادم اليه مـع جيشه للمساعدة. واستعدت الاطراف كلها للقتال، وسار كلوفس ضـــد كل من جندوباد وجوديجيزل، وتلاقت الجيوش في مكان حصين هو ديجون[٤] Dijon. وعندما بدأت المعركة عند نهـر أوخ Ouche إتجه جوديجيزل إلى كلوفس

(١) حكم من ٤٨٠ – ٥١٦ م. انظر : Lot, op. cit., p. 246.

(٢) مات عام ٥٠١ م. انظر : Lot, op. cit, p. 318.

(٣) كانت هذه المنطقة تعرف باسم برجانديا . انظر ما سبق ص ٢٨ .

(٤) تقع إلى الغرب من نهر الساؤون والى الشمال من مدينة شالون .

واتحدت قواتهما وهزموا جيش جندوباد. وقد لاذ جندوباد بالفرار من أرض المعركة عندما علم بخيانة أخيه الذي لم يكن يشك فيه على الاطلاق، واتخذ طريقه على طول ضفاف نهر الرون حتى وصل الى مدينة أفينيون[1] Avignon وتحصن بها. أما جوديجيزل فقد سلم كلوفس بعض أراضيه حسب ما وعد به اذا انتصر على أخيه، وعاد جوديجيزل إلى بلاده بسلام ودخل فيينا Vienne آمناً، كما لو كان حاكماً دائماً لأرضه. واستدعى كلوفس مزيداً من قواته ودفع بها في إثر جندوباد بهدف طرده من مدينة أفينيون وقتله. ولما علم جندوباد بذلك شعر بخيبة الألم وخشي أن يقتله كلوفس في أي لحظة. وكان يرافق جندوباد أحد المقربين إليه ويدعى أريديوس Aridius، وهو رجل ذكي قدير. واستدعى جندوباد أريديوس وذكر له أنه في مأزق وليس لديه ما يفعله، وان هؤلاء البرابرة [الفرنجة] قد شنوا الهجوم علينا واذا قتلت فانهم يستولون على كل الأراضي المجاورة. وطلب جندوباد من أريديوس أن يفعل ما في وسعه لاستعطاف هذا المخلوق المتوحش [كلوفس]. واقترح أريديوس أن يهرب إلى كلوفس ويدعي انه انحاز إلى جانبه وهناك يتصرف على ضوء ما يراه خطراً على جندوباد ومملكته، وان الله سيمنحنا نهاية طيبة إذا نفذت الخطة بكل تفاصيلها. ووافق جندوباد على الخطة وودع أريديوس الذي اتخذ طريقه إلى كلوفس. وهناك ذكر أريديوس له انه خادمه المتواضع وانه ملك ورع، وقد تخلى عن جندوباد المنكوب وجاء ليلحق بقواته إذا تكرم كلوفس وكان على استعداد لتقبله. وانه سيكون من رجاله المخلصين الثقاة ولسلالته أيضاً. وقد قبل كلوفس عرض أريديوس دون تردد وقربه إليه. وكان أريديوس روائياً بارعاً يقدم النصيحة ومحلاً للثقة. وقد ظل كلوفس معسكراً بكل قواته حول أسوار مدينة أفينيون. وفي هذه الأثناء قال أريديوس للملك كلوفس: إنك ملك ولك إرادتك الحرة وأرجو أن تتنازل

---

(١) تقع في الطرف الجنوبي لنهر الرون وشمال مدينة آرل. ونهر الساؤون أحد روافد نهر الرون.

وتقبل مني نصيحة صغيرة ، وان الإقتراح الذي أعرضه مفيد لك وللمدن التي نود إقتحامها ، وما فائدة بقاء كل هذه القوات على أهبة الاستعداد وعدوك آمن في مكان حصين يصعب اقتحامه ، وأن جيشك يخرب الحقول ويتلف المروج ويقطع الكروم ويهلك أشجار الزيتون ويدمر كل الاقليم الحصين ، وان كل ذلك لا يسبب أي ضرر لجندوباد. لماذا لا ترسل إليه إنذاراً نهائياً تطلب منه أن يدفع جزية سنوية ثابتة ، وبهذه الطريقة فانك تنقذ الاقليم ويخضع لك جندوباد ويدفع الجزية بصفة مستمرة. وقد قبل كلوفس نصيحة أريديوس وأعاد قواته إلى معسكراتها ، ثم أرسل إلى جندوباد يأمره بدفع الجزية ، ووافق جندوباد على ذلك وقدم جزية ذاك العام[1] ، ووعد بدفع الجزية في الأعوام المقبلة.

٣٣ – بعد هذه الأحداث أحس جندوباد بقوته العسكرية ورفض دفع الجزية التي وعد بها الملك كلوفس ، وأعد جيشه وسار به ضد أخيه جوديجيزل وحاصره داخل مدينة فينا ، حتى بدأ الأهالي يعانون من قلة المؤن ، وخاف جوديجيزل أن يعاني هو نفسه من نقص المؤن ، لذلك أمر بطرد الأهالي من المدينة ، وطرد معهم المهندس المختص بقناة المدينة العلوية المقامة على الأعمدة. وسخط المهندس لطرده مع الآخرين وذهب إلى جندوباد غاضباً وأشار عليه بالطريقة التي تمكنه من دخول المدينة والانتقام من أخيه. وسارت قوات جندوباد على طول القناة وأمامها بعض الفنيين بالروافع الحديدية. وعند القناة كانت توجد فتحة المياه يسدها حجر كبير ، وتحت اشراف المهندس حركوا هذا الحجر بالروافع الحديدية إلى أحد الجوانب وتسللت القوات إلى المدينة وهاجموا من الخلف المدافعين الذين كانوا يقذفون بالسهام من الأسوار. وسمعت أصوات الاستغاثة من داخل المدينة فهاجم المحاصرون البوابات وحطموها واندفعوا داخل المدينة ووقع من بالمدينة بين نارين وقطعوا إرباً من القوات المتسللة والقوات المقتحمة للمدينة. وهرب جوديجيزل إلى أحد كنائس الهراطقة ولكنه قتل داخلها

(١) عام ٥٠٠ م. انظر: Moss, op. cit, p. 76.

ومعه أسقفها الأريوسي . أما الفرنجة الذين كانوا مع جوديجيزل فقد قيدوا معاً في أحد الابراج وأمر جندوباد بحسن معاملتهم ، وبعد ما جردهم من أسلحتهم أرسلهم إلى الملك الاريك في مدينة تولوز . وفيما يختص بأعضاء مجلس السناتو Senato من الغاليين والرومان والبرجنديين الذين كانوا في جانب جوديجيزل فقد تم قتلهم جميعاً . وأن هـــذه المنطقة التي تسمى برجانديا وضعها جندوباد تحت سلطانه ، وأقر القوانين العادلة ليوقف معاملة الرومان غير العادلة .

٣٤ـــ تحقق جندوباد من أن عقيدته الدينية المهرطقة عديمة الفائدة ، واعترف بالسيد المسيح وأن الروح القدس مساوية للآب ، وطلب من قداسة أسقف فيينا أن يعمده ويمسحه بالزيت سراً . ولكن الاسقف قال له : إن كنت تعتقد أن الله نفسه قد علمنا فيجب أن تعلنها لأن السيد المسيح قال « فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السماوات ، ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قـــدام أبي الذي في السماوات »[1] . وبالطريقة نفسها أعطى الله النصيحة إلى السيد المسيح والرسل المباركين الذي أحبهم كثيراً وقال « ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم . وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهـــادة لهم وللامم »[2]. كما قال الاسقف للملك جندوباد : إنك ملك ولا تخشى أحـــداً ولا تخاف من رجالك وكيف لا تجرؤ على الاعتراف علانية باعتقادك في الخالق لكل شيء . كفاك غباء واعترف أمام الناس بكل ما تقوله وتؤمن به في قلبك لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص ونفس الشيء قاله الرسول « أحمدك في الجماعة الكثيرة في شعب عظـــيم أسبحك »[3] وقال أيضاً « احمدك بين الشعوب يا رب. أرنم لك بين الأمم »[4] ثم قال الاسقف لجندوباد أيضاً : انت خائف من شعبك ، وانك لست متأكداً أن الناس سيتقبلون العقيدة

(١) متى : الاصحاح العاشر ٣٢ ـ ٣٣ . (٢) متى : الاصحاح العاشر ١٧ ـ ١٨ .
(٣) المزامير : المزمور ٣٥ ، ١٨ . (٤) المزامير : المزمور ٥٧ ، ٩ .

أكثر منك ، إن الملك يجب أن يكون قدوة لشعبه . وأنت قائد لشعبك وانه لن يتسيد عليك وانك تذهب على رأس جيشك عندما تذهب للحرب وانه يتبعك حيث تقوده . ولذلك فمن الأفضل أن يتعلموا الصواب منك، افضل من أن يستمروا في خطأهم حتى موتك ، « لا تضلوا الله »[1] ، لأنه لا يجب للرجال الذين على مملكته الأرضية أن يرفضوا أن يعترفوا به أمام كل العالم . ورغم إقتناع جندوباد بهذه الكلمات فإنه أصر حتى نهاية حياته على عناده ورفض أن يعترف علانية بتساوي الثالوث المقدس.

وحوالى ذلك الوقت كان القديس أفيتوس Avitus[2] . . . .

. . . .

. . . .

٣٥ ــ وعندما لاحظ الاريك الثاني ملك القوط [الغربيين] أن الملك كلوفس يقضي على قوة بعد أخرى ، أرسل إليه كأخ عزيز يطلب مقابلته ويعده بأن ذلك سيكون أمراً عظيماً . ووافق كلوفس وسافر إليه وتمت المقابلة بالقرب من قرية أمبواز Amboise التي تقع على جزيرة في نهر اللوار Loire في مقاطعة تور . وتناقش الاثنان على مائدة الطعام وأقسما على صداقة أبدية ثم عاد كل منهما إلى بلاده مرة أخرى بسلام . وحوالى ذلك الوقت كان عدد كبير في غالة تواقين للدخول تحت حكم الفرنجة .

٣٧ ــ[3] قال كلوفس لوزرائه : انه من الصعب أن استمر في رؤية الاريوسيين يستولون على جانب من غالة، دعونا نحاربهم وعند هزيمتهم بعون الله نستولي على أراضيهم. وقد وافق الجميع على هذا الاقتراح وتجمع الجيش وعلى رأسه كلوفس وسار الى بواتيه Poitiers ، وسارت بعض الفرق عبر بعض الأراضي التابعة لمدينة تور. ومن أجل قداسة القديس مارتين أمر

(١) رسالة بولس الرسول الى أهل غلاطية : الاصحاح السادس ، ٧ .

(٢) الجزء المحزوف لا يتعلق بالملك كلوفس .

(٣) الموضوع السادس والثلاثون لا يتعلق بالملك كلوفس .

كلوفس قواته بعدم الاستيلاء على شيء من المنطقة عدا المأكل والمشرب. وقد وجد أحد الجنود بعض العليق وكان يخص أحد الفقراء، وقال الرجل الفقير: إن الملك أمر بعدم الحصول على شيء سوى المأكل والمشرب، فقال الجندي: هذا طعام وبذلك لا نعصى أوامر الملك، ثم أمسك بالرجل وأخذ العليق بالقوة وعندما علم كلوفس بما حدث سل سيفه وقتل الجندي على الفور وقال كلوفس: انه فأل سيء وسنخسر المعركة إذا أزعجنا القديس مارتين، وكان ذلك كافياً لمنع الجيش من سلب أي شيء بالمنطقة. وأعقب ذلك قيام كلوفس بايفاد بعض الرسل لتقديم الهدايا الى ضريح القديس مارتين . . . .

. . . .

. . . .

وأسرع الجند ولحقوا بجيش كلوفس الذي كان قد وصل الى فيينا، ولم يعرف كلوفس كيف يعبر هو ورجاله النهر [الرون] لأن الأمطار الغزيرة كانت قد ملأت النهر. وصلى كلوفس هذه الليلة حتى يظهر له الله مخاضه يعبر منها بقواته[١]. وفي فجر هذا اليوم دخلت مجموعة كبيرة من الارانب كما لو كانت تبصر كلوفس كرجائه في الصلاة. وقد عرف الجنود الطريق الذي عبرت منه الارانب واتبعوه، ثم ساروا تجاه مدينة بواتيه. وعندما كان كلوفس يعسكر وجيشه ظهر عامود مضيء من كنيسة سانت هيلارى Hilary، وبدأ يتحرك تجاه كلوفس كعلاقة التأييد من القديس وانه سيتغلب بسهولة على جيش الهراطقة[٢]، رغم أن هيلاري نفسه لم يدخل معركة من أجل العقيدة. وحظر كلوفس على قواته أخذ أية أسلاب طوال مسيرتهم أو أن يسلبوا أي انسان ممتلكاته.

وحوالى ذلك الوقت كان يسكن إحدى ضواحي مدينة بواتيه راهب

(١) كان عبور كلوفس بقواته من الشرق إلى الغرب .

(٢) يقصد بهم المؤرخ القوط الغربيين لاعتناقهم المذهب الاريوسي. ويمثل ذلك جانباً من الاساطير التي سجلها المؤرخ .

قديس يدعى ماكسنتيوس Maxentius ، عاش خائفاً من الله ناسكاً في صومعته التي يمكن أن نطلق عليه ديره من باب التجاوز. وعندما شاهد الرهبان فصائل جيش الفرنجة تقترب رويداً من الدير توسلوا إلى مقدم الدير أن يخرج من صومعته ليعطي البركة للجنود ولكنه لم يخرج إلا بعد وقت طويل. ولما كان الرهبان خائفين فقد اقتحموا الصومعة ودفعوه خارجها ، وقد خرج مقدم الدير وهو لا يخشى شيئاً وسار تجاه القوات كما كان يسألهم عدم مضايقته. فاستل أحد الجنود سيفه لينهال به على رأس ماكسنتيوس ولكن يد الجندي تصلبت عند مستوى إذن القديس وسقط السيف على الأرض فركع الجندي على قدمي القديس وسأله الصفح. وعندما شاهد رفاقه ما حدث عادوا بسرعة إلى صفوف الجيش لأنهم خافوا على حياتهم. ومسح القديس بالزيت المقدس على الجندي ورسم عليه علامة الصليب فشفي في الحال. ونتيجة لما فعله ماكسنتيوس لم يصب الدير بأذى. وكانت له معجزات أخرى وبوسع القارئ المجتهد أن يكتشفها إذا بحث في حياته. وقد حدث هذا في السنة الخامسة عشر من حكم كلوفس [1].

وحوالى ذلك الوقت قابل كلوفس الاريك الثاني ملك القوط [الغربيين] في معركة فوابيه التي تقع على بعد عشرة أميال من مدينة بواتيه ، وتراشق بعض الجنود بالرماح على مسافات بعيدة ، كما حارب بعضهم ملتحمين وفر القوط كعادتهم وانتصر كلوفس لأن الله كان معه ، ولأنه تحالف مع أحد أبناء سيجبرت الأعرج ويدعى شلودريك Chloderic ، وكان سيجبرت هذا قد أصابه العرج بعد أن جرح في ركبته أثناء حروبه [2] مع الالمان في غابة زولبيخ Zulpich . وقتل كلوفس الآريك ، وأثناء فرار القوط نشب صراع بين إثنين كان كل منهما يقف في جانب واصطدمت حرابهم

---

(١) ٥٠٧م.

(٢) يتضح من ذلك أن سيجبرت كان قد تحالف مع كلوفس اثناء حروبه مع الالمان . أنظر ما سبق ص ٣٠ – ٣١ .

بالملك كلوفس ولم ينقذه سوى درعه الجلدي وانحراف اتجاه الحصان المسرع وبذلك نجا من الموت باعجوبة. وقد شاركت أعداد كبيرة من مقاطعة أوفرجنات Auvergnat[1] الفرنجية في هذه المعركة تحت قيادة أبوليناريس Apollinaris لأن قائدهم – وهو أحد أعضاء مجلس السناتو – قد قتل كما فر عموري Amalaric ابن الآريك من أرض المعركة واتجه الى اسبانيا وهناك حكم دولة القوط بعد أبيه[2]. كما أرسل كلوفس ابنه ثيودريك عبر مدينة ألب وروذز Rodez الى مدينة كليرمونت – فراند، وقد أخضع ثيودريك كل هذه الأراضي – الى حكم والده. وقد حكم الاريك الثاني احدى عشر عاماً. وامضى كلوفس شتاء هذا العام[3] في مدينة بوردو Bordeaux بعد ما استولى على كل خزائن الملك الآريك التي وجدت في تولوز. وبعد هذه الأحداث اتجه كلوفس الى مدينة انجولم Angoulême. وعند هذه المدينة قدم الله للملك كلوفس برهاناً عندما انهارت اسوار المدينة بسبب ثقلها كانه حاصرهم بداخلها. وقد تمكن كلوفس من طرد القوط خارج المدينة وأخضعها لسلطاته. وبعد هذه الانتصارات عاد كلوفس الى تور حيث قدم كثيراً من الهدايا الى كنيسة القديس مارتين.

٣٨– وصلت الكتب من الامبراطور أنسطاسيوس[4] Anastasius إلى الملك كلوفس تمنحه لقب قنصل[5]. وفي كنيسة القديس مارتين وقف كلوفس مرتدياً عباءته الأرجوانية وزيه العسكري ووضع بنفسه التاج على رأسه، ثم امتطى فرسه ونثر بيده العملة الذهبية والفضية على المحتشدين في الطريق من بوابة كنيسة القديس مارتين حتى كاتدرائية مدينة تور. ومنذ ذاك

---

(١) هي المنطقة التي تقع فيها مدينة كليرمونت.

(٢) حكم عموري بالاشتراك مع ثيودريك ملك القوط الشرقيين من عام ٥٠٨ – ٥٢٦ تزوج من كلوتيلد إبنة الملك كلوفس، ثم حكم منفرداً بعد موت ثيودريك في عام ٥٢٦ إلى ٥٣١ م. انظر Lot, op. cit., p. 264.

(٣) عام ٥٠٧.

(٤) هو أنسطاسيوس الأول ٤٩١ – ٥١٨ م.

(٥) ثم منح كلوفس لقب قنصل مقابل اعلان ولاءه للامبراطور. انظر: Duruy, op. cit., p. 32.

اليوم أصبح يدعى القنصل أوغسطوس[1] Augustus . ثم ترك كلوفس مدينة تور واتجه إلى باريس ، واتخذها مقراً لمركز حكومته.

٤٠[2]ـ وأثناء إقامة كلوفس في باريس أرسل إلى شلودريك ابن سيجبرت ملك كلوني[3] يقول : ان والدك مسن وأعرج ، واذا مات تكون المملكة حقاً لك ، وإنني أتحالف معك بعد موت والدك . وقــد أصيب شلودريك بالذهول بسبب جشعه للسلطة وبدأ يتآمر على موت والده . وذات مرة خرج سيجبرت من مدينة كلوني وعبر الراين رغبة في التنزه في غابة بوخو Buchau . وعندما استراح سيجبرت في خيمته ساعة الظهيرة ، خصص الابن القتلة لاغتيال الوالد ليتمكن من حـكم المملكة ، ولكن عدالة الله أسقطت الابن في نفس الحفرة التي حفرها لوالده . فقد أرسل شلودريك الرسل إلى الملك كلوفس يعلن موت والده ويبلغه استيلائه على الحـكم وطلب من كلوفس أن يوفد إليه الرسـل ليقدم له عن طيب خاطر من كنوز والده ما يشاء ويشكره على حسن نواياه . وقد أجـاب كلوفس قائلاً بأنه يجب على شلودريك أن يجعل الرسل تشاهد الكنوز فقط ، وان كلوفس لا يريد منها شيئاً . وقـد حضرت رسل كلوفس وأطلعهم شلودريك على كنوز والده وعاينوها وكانت هذه الكنوز موجودة داخل صندوق اعتاد سيجبرت أن يحفظها بداخله . وقد طلب الرسل من شلودريك أن يدخل يده حتى قاع الصندوق ليتبين كمية الكنوز ، وعندمـا انحنى شلودريك ليفعل ذلك رفع أحد رجال شلودريك يده وبهـا بلطة ذات شعبتين وهشم بها رأس شلودريك . وكان هـذا جزاء الابن وقاسم الأب مصيره . وعندما سمع كلوفس بمقتل كل من سيجبرت وابنه شلودريك سار إلى مدينة كلوني بنفسه وطلب من سكانها الاجتماع بهم. وقد قال لهم كلوفس

---

(١) ان العباءة الارجوانية يرتديها الاباطرة، كما ان لقب أوغسطوس هو لقب الامبراطور. انظر
Ostrogorsky, op. cit., p. 95.

(٢) الموضوع التاسع والثلاثون لا يتعلق بالملك كلوفس.

(٣) هو سيجبرت الاعرج ملك الفرنجة البريون Ripuarian .

عندما انتهيت من الابحار في نهر الشلد Scheldt كان شلودريك – ابن ملككم اخي – مشغولا بالتآمر ضد والده، وصور الأمر على أنني أريد له ذلك. وعندما إتجه سيجيبرت الى غابة بوخو أرسل شلودريك القتلة في اثره لاغتياله. وفي الوقت الذي كان فيه يعرض شلودريك كنوز والده قتله شخص ما. وإنني لست مسؤولا عما حدث، وليس من حقي أن آخذ بثأر أحد زملائي الملوك لأن ذلك جريمة. وبعد أن أخذت هذه الاحداث مجراها قدم كلوفس نصيحة لاهل مدينة كلوني، وهي أن لهم أن يقرروا ما يشاؤون ولكن عليهم أن يضعوا أنفسهم تحت حمايته. ولما سمع أهل كلوني ذلك من كلوفس دقوا على دروعهم وأعلنوا موافقتهم، ثم حملوا كلوفس على درع ونصبوه حاكماً عليهم. وبهذه الطريقة استولى على مملكة وكنوز سيجيبرت واخضع شعبه لحكمه، ومع الأيام خضع أعداء كلوفس لسلطانه ونمت قوته لان كلوفس كان يعمل كل ما يرضي الله.

٤١ – واتجه كلوفس بعد ذلك الى شاراريك[١] Chararic . لأن كلوفس عندما كان يحارب سياجروس، فان شاراريك هذا وهو الذي تحالف مع كلوفس ظل في أرض المعركة ولم يقدم المساعدة الى أي منهما، وظل في انتظار نتيجة هذا الصراع حتى يقدم يد الصداقة الى القائد الذي يحرز النصر. وهذا سبب غضب كلوفس من شاراريك ومهاجمته له. وقد أحاطه كلوفس ببعض الكمائن وشدد عليه الحصار، وفي النهاية قبض كلوفس على شاراريك وإبنه وأمر كلوفس بقص شعرهما، وأجبرهما على الدخول في السلك الكنسي ونصب شاراريك قسيساً وابنه شماساً . وامتثل شاراريك لما تقرر وانفجر في البكاء، ولكن الابن صاح قائلاً : هذه الأوراق التي قطعت من الشجر لا تزال خضراء نضرة، وستنمو مرة أخرى وتكبر أكثر مما كانت ؛ وإن الانسان الذي فعل ذلك هالك لا محالة . وقد وصلت هذه الكلمات إلى مسامع كلوفس، ولما كانت هذه العبارات تفيد بتهديد كلوفس بالقتل بعد ما ينبت شعر شاراريك وابنه، فقد أمر

(١) هو ملك الفرنجة البحريين Salian Franks انظر G. T. H. F., p. 156.

كلوفس بقتلها ، واستولى على أراضيها وملكها وأخضع شعبها لسلطانه .

٤٢ — وحوالى ذلك الوقت كان يعيش في كمبريا Cambrai ملك غارق في الفسق يدعى راجناشار Ragnachar ، الذي لم يمنع يديه من أن تصل إلى نساء عائلته . وكان لهذا الملك مستشار يدعى فارو Farro يعيش نفس المعيشة الدنسة ، ويقال[١]: إذا قدم أحد هدية أو طعاماً للملك فإنه يجب أن يكون ذلك كافياً للملك ولمستشاره فارو معاً . وقد أثارت هذه الأفعال الفرنجة الخاضعين له . وقد قدم كلوفس إلى بعض النبلاء في حرس الملك رشوة من الذهب في شكل رباط للسلاح وحزام للسيف ليثوروا ضد الملك . والحقيقة إن هـذه الهدايا وإن كانت تشبه الذهب إلا أنها كانت من البرنز المطلي بالمذهب. وسير كلوفس بعد ذلك جيشه ضد راجناشار فأرسل الأخير جواسيسه ليستطلعوا قوة الغزاة . ولما عـاد الجواسيس أخبرت الملك راجناشار أن الغزاة أقوياء على الملك ومستشاره . وبعدما وصل كلوفس أعد جنوده للمعركة ، ولما شاهد راجناشار هزيمة جيشه استعد للهرب . ولكن بعض رجـاله قبضوا عليه وقيدوه وسلاحه خلف ظهره وأتوا به ، ومعه أخـوه ريشار Richar . وقال كلوفس لراجناشار : لماذا تكره الفرنجه ولا ترضى الخضوع لهم ، لقد كان من الأفضل لك أن تقتل في المعركة واستل بلطته وهشم بها رأس راجناشار . ثم استدار كلوفس إلى ريشار وقال له : ان وقفت بجانب أخيك لم يكن كُبل بهذه الطريقة ثم قتله بضربة أخرى من بلطته . وبعد موت الملك راجناشار وأخيـه ريشار اكتشف من خانوهما أن الهدايا الذهبية التي أخذوها من كلوفس مزيفة . وعندما اشتكوا إلى الملك كلوفس أجابهم بأن هذا النوع من الذهب مناسب للرجل الذي يخون سيده حتى الموت ، وأضاف أنه من الأفضل لهم أن يقبلوا مثل هذه الهدايا وينجوا بأرواحهم بدلاً من ان يقدموها ثمناً لخيانة ملكهم . وعندما سمعوا ذلك سألوا الملك كلوفس الصفح ، وقالوا إن الهدايا مناسبة مع الابقاء على حياتنا . وكان

---

(١) كلمة يقال علامة تحفظ من المؤرخ جريجوري على ما يقوله من مادة تاريخية. انظر ما سبق ص٢٣ .

الملكان راجناشار وريشار يمتان بصلة القرابـة للملك كلوفس . وبناء على تعليماته أيضاً قتل أخوهم ريجنومار Rignomar في مدينة لمان Le Mans ، وبعد مقتل الإخوة الثلاثة إستولى كلوفس على المملكة وعلى كنوزهم . وبنفس الطريقة قتل كلوفس العديد من الملوك وأقاربه الذين توجس منهم خيفة ، أو خشي تآمرهم على عرشه ، وبذلك اتسع ملكه وشمل كل أنحاء غالة . وذات يوم دعا إلى إجتماع كل الموالين له ، وقال ما يفيد إنه حزين على أقاربه الذين قتلوا ، فقد قال : انه لأمر محزن أن أعيش وسط أغراب مثل الناسك المنعزل . وانني لم أترك أحـداً من أقاربي ليساعدني عندما يحيق بي الخطر . وأضاف إن حزنه لا يرجع إلى موتهم ولكن إلى الطريقة التي قتلوا بها ، وانه كان يبحث عن قريب باق على قيد الحياة ليقتله .

٤٣ – وفي نهاية الأمر مات كلوفس في باريس ودفن في كنيسة الرسل المقدسة[١] التي بناها هو وزوجته كلوتيلد، وقد مات بعد خمس سنوات من معركة فوايبه بعد مـا حكم ثلاثين عاماً وقد بلـــغ من العمر خمسة وأربعين عاماً[٢].

وبعد موت كلوفس أتت زوجته كلوتيلد وعاشت بقية حياتهـــا في مدينة تور وأصبحت راهبة في كنيسة القديس مارتين وانتحت هذا المكان ولم تزر باريس بعد ذلك، وكانت امرأة تتصف بالتواضع وحبها للرحمة .

مما تقدم يتبين لنا أن المؤرخ التوري قدم لنا مادة تاريخية طيبة عن عصر الملك كلوفس بعد وفاة والده عام ٤٨١م، وإخضاعه ثورنجيا عـام ٤٩٢م، وانتصار كلوفس على سياجروس قائد قوات الامبراطورية في معركة سواسون عـــام ٤٨٦م ، ثم زواج كلوفس والدور الذي لعبته زوجته كلوتيلد حتى اعتنق الديانة المسيحية على المـذهب الكاثوليكي عـام ٤٩٦م

(١) عرفت بعد ذلك باسم كنيسة القديسة جنيفياف Geneviève

انظر G. T. H., F., p. 158 ، راجع أيضاً :

Attwater, D., A Dictionary of Saints, Penguin Books, 1975, p. 147.

وحروبه مع الالمان في العام نفسه. كذلك قدم لنا معلومات تفصيلية عن حروب كلوفس مع برجانديا عام ٥٠٠م، وانتصاره في هذا المجال، ثم معاهدة السلام التي وقعها مع الآريك ملك القوط الغربيين، ثم الحرب التي دارت بينهما وهزيمة الاخير في معركة فوابيه عام ٥٠٧م. أضف إلى ذلك منح الامبراطور انسطاسيوس لقب قنصل للملك كلوفس والدور الذي لعبه كلوفس من أجل توحيد الفرنجة وحروبه مع حكام كلوني وكمبريا وأخيرا وفاته في عام ٥١١ م.

والحقيقة أن هذا المؤرخ وإن كان يؤرخ على طريقة الحوليات فإنه لم يلتزم بذلك عند التأريخ للملك كلوفس فقد أورد حروب كلوفس مع ثورنجيا في عام ٤٩٢م قبل الحديث عن أحداث أخرى تتعلق بسنوات سابقة مثل معركة سواسون التي وقعت أحداثها عام ٤٨٦م. كما أنه أفرط في الحديث عن حروب كلوفس ولم يقدم لنا شيئاً عن أعماله في المجال الداخلي مثل نظم الحكم والنواحي الاقتصادية وما شابه ذلك من الموضوعات التي تلقي الضوء على المجتمع الفرنجي في عصر الملك كلوفس، والحقيقة الوحيدة التي قدمها لنا المؤرخ في الجانب الحضاري هو بناء كلوفس وزوجته لكنيسة الرسل وقد تحدث عنها عرضاً عند الحديث عن مكان مثواه .



